مقدمة

الشيخ محمد ديب الكلاس

من سادة علماء التوحيد والفقه واللغة والمنطق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد :

فقد أطلعني أخي الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني على رسالته المسماة :

« الجوهرة في شرح الجوهرة »

شرح فيها أبيات منظومة التوحيد للإمام اللقاني المالكي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1041 هـ .

حاول فيها أخونا في الله تعالى أن يأتي بشرح أبيات مختصرة موجزة لتناسب طلاب الصف الأول الشرعي الذي يقوم بتدريسه في معهده « التهذيب والتعليم » .

---

[1] انظر ترجمة فضيلة الشيخ في كتابنا (غرر الشآم في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم) في الجزء الثاني منه

قمت بقراءة الرسالة حرفاً حرفاً فوجدتها مقسمة على موضوعات وأقسام هذه المنظومة ، ورأيتها قد جمعت إلى جانب الشرح طلاوة العبارات وحسن ترتيبها فأتت كالجوهرة في دقة صنعها وجمال تنسيقها

وقد أجزته بما فيها فرعاً فرعاً وبما أجازني به أشياخي الكرام في علم التوحيد .

والله أرجو أن ينفع بها عباده ، إنه خير مسوؤل وبالإجابة جدير.

14 جمادى الآخرة 1417 **محمد ديب الكلاس**

26 تشـــرين أول 1996

مقدمة

الشيخ أحمد نصيب المحاميد

من سادة علماء التوحيد والفقه واللغة والتفسير [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، وعلى آله وأصحابه أهل الوفا، وسلم تسليماً .

حينما أذكر جوهرة التوحيد أرجع إلى الوراء ستين عاماً ، يوم كنا ندرسها عند مولانا وسيدنا محمد علي الدقر رحمة الله عليه ورضوانه ، يوم كنا ندرسها في جامع السادات الكائن في أول سوق مدحت باشا وفي السدة الغربية منه الملحقة بالأصلية ويوم كان الشيخ عليه رحمة الله يجلس فيها مستقبلاً القبلة وشارحاً لنا أبيات الجوهرة فما أنسى لا أنسَ تلك الجلسة التي تشعرنا بتواضع العالم وإخلاصه وصدقه في إفادة العلم وتلك الكلمات التي تتناثر من فمه فتنتظم كالدر النضيد وذلك النور المتوهج الذي يكسو وجهه من تدفق الإيمان واليقين . وإذا كان الشاعر يتمنى بتلهف أن يعود له شبابه فينشد من أعماقه :

---

[1] انظر ترجمة فضيلة الشيخ في كتابنا غرر الشـــآم في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم في الجزء الثاني منه .

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

فأنا لا أتمنى أن يعود الشباب إلا إذا عادت معه هذه الذكريات الحلوة بشخصياتها ووقائعها وأحداثها، عند ذلك أتمنى أن يعود الشباب لأعود مرة ثانية في مجالس الأنس والعلم والمحبة .

ما أجمل تلك اللفتات التي كان الشيخ رحمه الله يختبر فيها طلابه ليرى مدى انتباههم وعمق فهمهم حينما يفاجئ أحدنا بقوله : يا فلان إقرأ أول الجوهرة ، ومعلوم أن أولها :

الحمد لله على صلاته ثم سلام الله مع صلاته

والاختبار هنا : هل البيت بفتح الصادين أو بكسرهما أو بفتح الأول وكسر الثاني أو العكس .

فالطالب المنتبه يكسر الأول ويفتح الثاني لأن الأول بمعنى العطايا والمنح والثاني بمعنى الصلاة على النبي ﷺ والتي هي بمعنى الرحمة المقرونة بالتعظيم أو هي مطلق الرحمة .

هذا وقد اعتنى العلماء وطلاب العلم بهذه الجوهرة حفظاً وشرحاً وتعليقاً وكانت هي الأصل عندهم في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة لا سيما ناظمها هو العلامة الفهامة الولي المخلص الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي الذي يفوح الإخلاص والصدق والإيمان في كل ما قرر فيها من عقيدة أهل السنة والجماعة فتطمئن النفس بما أودع فيها من الحجج الناصعة والبراهين القاطعة على ما جاء به الإسلام من صحة العقيدة

بوحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله .

وقد ناقش الناظم رحمه الله تعالى بعض الفرق ودفعهم بالحجج الواضحة والبرهان الساطع مع الالتزام بآداب المناقشة واحترام العلماء كقوله في مناقشة المعتزلة :

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب

فكانت الجوهرة جوهرة حقيقية بما اشتملت عليه من عقائد أهل السنة والجماعة وكانت جديرة بأن يعنى بها العلماء والمدرسون قديماً وحديثاً وكان العالم المجد النشيط الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني من هؤلاء الذين عنوا بها وشغفوا بمحتواها فأملى هذا الشرح المختصر المفيد على طلاب الصف الأول من معهد (التهذيب والتعليم) فكان شرحاً نافعاً قد وفق فيه كل التوفيق حيث لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل لذا كان جديراً بأن يجعل هذه المحاضرات كتاباً ينتفع به القريب والبعيد بما يرسخه في النفوس من عقيدة أهل السنة والجماعة .

فنسأل الله تعالى المنان أن ينفع به وبعلومه ومؤلفاته وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

أحمد نصيب المحاميد

المقدمـــــــــة

الحمد لله المتصف بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت الجلال والجمال ، المنفرد بالإنعام والإفضال ، والعطاء والنوال ، المحسن المجمل على ممر الأيام والليال .

أحمده حمداً لا تغير له ولا زوال ، وأشكره شكراً لا تحول له ولا انفصال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نِدَّ ولا مثال ، شهادة أدخرها ليوم لا بيع فيه ولا خِلال .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى أصح الأقوال وأسدِّ الأفعال ، المحكم للأحكام،والمميز بين الحرام والحلال .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وخير آل صلاة دائمة في الغدو والآصال ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فيقول أفقر الورى إلى ربه العزيز عبد العزيز بن الشيخ محمد سهيل

ابن الشيخ عبد الفتاح الخطيب الحسني أماً وأباً والعباسي أم أب والحسيني أم جد والدمشقي الشافعي القادري الشاذلي :

أنه لما كان نظم العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي المعروف بجوهرة التوحيد قد قرر على طلاب الصف الأول من معهد التهذيب والتعليم (الذي يتبع لجمعيته المسماة باسمه) مما يحتاج إلى شرح مبسط مختصر ، وكنت قد أمليته على طلاب هذه السنة فقد رأيت أن أقوم بطبعه ليستعين به الطلبة على امتحاناتهم وسميتها :

« الجوهرة في شرح الجوهرة » أو« مذكرة في عقيدة أهل السنة والجماعة ».

وقسمتها إلى عدة أبواب :

الباب الأول / **مقدمات في العقيدة .**

الباب الثاني / **الإلهيات .**

الباب الثالث / **آيات الصفات** بين **التفويض و التأويل .**

الباب الرابع / **النبوات .**

الباب الخامس / **الإيمان بالملائكة .**

الباب السادس / **الإيمان باليوم الآخر .**

الباب السابع / **أحكام متفرقة في العقيدة .**

فما كان من صواب فمن توفيق الله تعالى وما كان من خطأ فمن

نفسي وأتوب إلى الله منه ، ورحم الله امرأً عاين زللاً فسمح :

والله أرجو في القبول نافعاً بها مريداً في الثواب طامعاً

حررته يده في :حرم رسول الله ﷺ في حج عام 1416 .

وها هي ترجمة إمامي هذا العلم أعني بهما الإمام أبا الحسن الأشعري و الإمام أبا منصور الماتريدي :

هو العلامة صاحب وقته في التوحيد أبو **أ**لحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب سيدنا رسول الله سيدنا أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضَّار الأشعري اليماني البِصرْي.

- مشايخه : تتلمذ على عدد من مشايخ عصره منهم:

أبو خليفة الجمحي. وأبو علي محمد بن عبد الوهّاب الجبائي، وزكريا الساجي ، وسهل بن نوح وطبقتهم.

- صفته : اشتهر هذا الإمام بذكائه المفرط وقوة الفهم، وتبحره في العلم ، وكان صاحب دعابة ومزاح كثير، وكان يقنع باليسير، وتصانيفه جمّةٌ تقضي له بسعة العلم.

بدأ الإمام حياته بدراسة مذهب الاعتزال، وبرع في هذا المذهب، حتى رفع المعتزلة به رؤوسهم عالياً وكان لفصاحته يتولى

الجدل نائباً عن شيخه الجبائي ثم كره المذهب وتبّرأ منه ، قال الفقيه أبو بكر الصيرفي .

« كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السّمْسِم » .

وقد تَبرّأ من مذهب الاعتزال على منبر البصرة ومما قاله:

« كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن الشرَّ فعلي ليس بقدر، وإني تائب معتقدٌ الردَّ على المعتزلة » .

وله رأيان في مسألة التفويض أو التأويل في الصفات [1]، مرة قال بالتفويض ومرة قال بالتأويل كلٌ مفصّل في كتبه.

وله المناظرة المشهورة مع شيخه الجبّائي في قول المعتزلة: يجب على الله فعل الصلاح والأصلح : حيث قال الأشعري بأن الله يفعل ما يشاء، فقال لشيخه الجبّائي:

– ماذا تقول في ثلاثة صغار مات أحدهم وكبر اثنان، فآمن أحدهم وكفر الآخر، فما العلة في اختراع الطفل؟

– قال الجبائي: لأن الله علم أنه لو بلغ لكفر، فكان اختراعه أصلح له.

قال الأشعري: فقد أحيا أحدهما فكفر!!

قال الجبائي: إنما أحياه ليعرِّضه أعلى المراتب.

---

[1] كآية (الرحمن على العرش استوى).

قال الأشعري: فلم لا أحيا الطفل ليعرّضه لأعلى المراتب.

قال الجبائي: وسوست؟!!

قال الأشعري: لا، ولكن وقف حمار الشيخ.

كانت هذه المناظرة وغيرها سبباً في تركه مذهب الاعتزال، ففي مقدمة كتابه الإبانة بَيَّن المآخذ التي أخذها على المعتزلة، وأنهم خالفوا رواية الصحابة في كثير من الأمور:

بعض من الآراء الضالة التي تبناها المعتزلة :

ورئيس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء[1] الذي اعتزل مجلس الحسن البصري فسميت فرقته بالمعتزلة [2] :ونعرض لبعض الآراء الضالة التي تبنتها هذه الفرقة :

1- عدم رؤية الله بالأبصار في الجنة.

2- أنكروا شفاعة سيدنا رسول الله ﷺ .

3- جحدوا عذاب القبر.

4- قالوا بخلق القرآن.

5- زعموا أن الله عز وجل يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء.

6- زعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم.

---

[1] ولد في المدينة سنة / 80 / هـ وتوفي سنة / 131 / هـ

[2] لأنه جعل يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر فقال الحسن البصري « قد اعتزلنا واصل » فسموا بالمعتزلة

7- وأنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم أودعها الله فيهم.

8- حكموا على العصاة (المرتكبين للكبائر) بالنار والخلود فيها.

9- ودفعوا أن يكون لله عز وجل وجه أو يدان أو عين.

ثم ردّ على هؤلاء المعتزلة وأيد رده بالأدلة ، النقلية والعقلية، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من صفات الله تعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة، والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ويستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلاً، فهو لا يتخذ من العقل حاكماً على النصوص ليؤولها أو يمضي على ظاهرها. بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص فيؤيدها.

واتبع في كل ذلك طريقة المعتزلة نفسها ليفلج عليهم ويقطع شبهاتهم ويفحمهم بما في أيديهم ويرد عليهم حجتهم، فنال لذلك منزلة عظيمة وصار له أنصار كثيرون ولقي من الحكام تأييداً ونصرة وبث أنصاره في الأقاليم يحاربون خصوم الجماعة ومخالفيهم ولقبه أكثر علماء عصره بإمام أهل السنة والجماعة.

وكان يرى أنه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة، وبقيت هذه عقيدته حتى وفاته رضي الله عنه ، إذ أنه دعا أحد تلامذته حين دنت وفاته وهو زاهر بن أحمد السرخسي فقال له:

«*اِشهد عليَّ أني لا أكفرّ أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون*

إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات » .

خَلَفَ الإمام تلامذة كثر ذكرهم صاحب كتاب تبيين كذب المفتري وصَنَّفَ /300/ مصنف في الرد على مختلف الآراء والنحل والفرق.

أشهر كتبه المتداولة :

* اللمع في الرد على أهل البدع.
* مقالات الإسلاميين.
* الإبانة.
* كتاب الصفات وهو أعظم كتبه نقض فيه ما كان ألفّه قديماً صحح فيه مذهبه على مذهب المعتزلة، بعد خروجه منه.

قال عنه ابن الباقلاني: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري.

توفي الإمام في بغداد سنة324 وقيل بقي إلى سنة ثلاثين وثلاث مئة.

هو الإمام العلم أبو منصور محمد بن محمود الكلام نسبته إلى بسمرقند.

إمام ماوراء النهر الماتُريدي محمد بن من أئمة علماء ماتُريد قرية

تلقى العلم على علماء عصره في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري ومنهم (في الفقه وعلم الكلام) نصر بن يحيى البلخي المتوفى سنة268هـ كان الإمام حنفيّ المذهب ودرس آراء الإمام أبي حنيفة في العقائد

والفقـــه ونظر فيها حتى برع في عـــدد مـــن العلـــوم وتلاقت آراؤه مـــع آراء الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في جملة أصولها . وقامت له جولات في الفقه وأصوله، وفي أصول الدين، لكن مناظراته اتسمت بمنهاج غير منهاج الأشعري، وإن تلاقيا في كثير من النتائج.

وقد برز الإمام أبو منصور في عصر نال فيه المعتزلة غضب الشعب واستنكاره ، وكان يشارك في هذه المناظرات مع هذه الطائفة التي رددت أقوال المعتزلة في العراق.

ومنهاج الماتريدي في إثبات معرفة الله تعالى هو العقل بإرشاد من الشرع، أي أنهم لا يسرفون فيجعلون للعقل سلطاناً كبيراً ، لكنهم جعلوا لعلم العقائد مصدرين :

النقل والعقل ، فإن اختلفا قدم النقل والشرع على العقل .

هذا المنهج دعـــــا الماتريدي أن يتقارب في بعض الآراء مع المعتزلة ـــ أقول مقاربة ـــ فهو يرى أن معرفة الله يمكن أن يدرك وجوبها العقل وآراء أخرى تقاربت في كثير منها من آراء الأشاعرة في النتائج كما قدمت.

مؤلفاته : له كتب عدة منها:

- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) طبع في القاهرة 1971 (في 371).
- كتاب التوحيد تحقيق فتح الله خليف طبع في بيروت دار المشرق 1970 ونسخة عنه قدمها لي مولانا فضيلة الشيخ أديب الكلاس حفظه الله تعالى.

□ شرح الفقه الأكبر طبع بيروت 1982.

توفي الإمام بسمرقند سنة 333 هـ رضي الله عنه وأرضاه.

الباب الأول

مقدمات في العقيدة

1 ـ شروح الجوهرة :

الجوهرة نظمها برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي المصري المتوفى سنة /1041/هـ أثناء عودته من الحج، نظم نحواً من / 17/ مؤلفاً منها جوهرة التوحيد ، وهي منظومة في العقائد عـدد أبياتها / 144/ بيتاً ، وله ولولده عبد السلام أربعة شروح عليها.

3- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد** للشيخ الإمام إبراهيم الباجوري المتوفى سنة /1277/ هـ .

4- **شرح العلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي** المتوفى سنة /1241/هـ .

5- **شرح في مجلد للشيخ أديب الكيلاني** ، ما زال حياً .

6- **شرح في مجلدين** كل مجلد /600/ صفحة تقريباً، توسع فيه الشيخ أديب الكيلاني زيادة على الشرح الأول .

- هناك كتب أخرى تسير على هدي شروح الجوهرة منها

شرح لمؤلف هذه الرسالة واسمه**مراقي العبودية في توحيد رب البرية**

7 - شرح في مجلد كبير قريب من / 1000/ صفحة توسع فيه مؤلف هذه الرسالة عن الشرح السابق، سماه **نفحات منبرية في القضايا الإيمانية** .

8- مذكرة في عقيدة أهل السنة والجماعة وهي هذا الكتاب .

وعملاً بالأحاديث النبوية في ابتداء كل مؤلف بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ فقد ابتدأ الناظم منظومته بهما كي ينتفع بمنظومته العباد وكان له ما أراد فقال :

الحمد لله على صِلاتهِ [1] ثم سلام الله مع صَلاتهِ
على نبيٍّ جاء بالتوحيدِ وقد عرى الدينُ عن التوحيدِ [2]
فأرشدَ الخلقَ [3]لدينِ الحقِّ بسيفهِ وهديهِ للحقِّ
محمدُ العاقبْ [4] لرسلِ ربِّهِ وآلهِ وصحبهِ [5] وحزبهِ
وبعدُ فالعلمُ بأصلِ الدينِ [6] محتمٌ [7] يحتاجُ للتبيينِ

---

[1] جمع صلة وهي المنح والعطايا الإلهية .

[3] وهم الجن والإنس فإرسال سيدنا محمد ﷺ لهما إرسال تكليف .

[4] الخاتم للأنبياء والرسل الكرام فهو القائل ﷺ أنا العاقب (لانبي بعدي) .

[6] أي علم العقيدة وسيمر معنا إن شاء الله تعالى أسماء هذا الفن .

[2] وقد خلت الأديان السابقة عن التوحيد لوجود التبديل والتحريف فيها .

[5] الآل هم بنو هاشم والمطلب عند الشافعية .والصحابي : هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام وانظر تفصيل التعريف ص84 عند القول في فضائل الصحابة .

[7] أي فرض كما سيمر معنا بعد قليل إن شاء الله تعالى .

لكنْ مِنَ التطويلِ كلَّت الهِممْ فصـــار فيه الاختصارُ ملتزمْ [8]

وهـــــذه أرجـــــــوزةٌ لقبتـــها جوهـــــرةَ التـــــوحيدِ قـــَدْ هَذَّبْتُها

ومعنى أرجوزة أي من بحر الرجز وتفعيلاته هي قولهم :

من أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقد نقحها مصنفها من كل عقيدة فاسدة أو شِبَهٍ باطلة ولهذا سماها جوهرة التوحيد لتكون جوهرة بحق أغلى من كل الجواهر ورجا من مولانا ﷻ أن يثيبه عليها بعد أن نظمها ـــ في ليلة واحدة ـــ لوجه الله تعالى فقال :

واللهَ أرجو في القبولِ نافعا بها مريداً في الثوابِ طامعا

2 ـــ أقسام الحكم العقَلي :

أنواع الأحكام ثلاثة :

1 ـــ حكم عقلي

2 ـــ حكم شرعي

3 ـــ حكم عادي .

فالحكم العقلي هو المنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 - الواجب : وهو مالا يُتصور في العقل عدمه، أو بمعنى آخر: هو مالا يقبل الانتفاء بذاته .

2 - المستحيل : وهو مالا يُتصور في العقل وجوده، أو بمعنى آخر :

---

[8] وهو سبب تأليفي لهذه الرسالة المتواضعة ، ومعنى كلت : أي ضعفت عن تناول الشروح والمطولات فصار فيه الاختصار ملتزماً لتقريبه إلى المتعلمين والمبتدئين أمثالي .

هو مالا يقبل الثبوت بذاته.

3 – الجائز : وهو ما يصح في العقل وجوده أوعدمه، أو بمعنى آخر: هو ما يقبل الثبوت أو الانتفاء

3 ــ المكلف شرعاً :

هو البالغ ، العاقل ، السليم الحواس ، الذي بلغته الدعوة.قال صاحب الجوهرة:

فكلُّ من كُلِّف شرعاً وَجَبَا عليه أن يعرف ما قد وجبا

لله والجـــائزَ والممتنعـــــــا ومِثْلَ ذا لرُسْلِـــــه فَــاسْتَمِعَــا

4 ــ حكم التقليد في التوحيد :

تعريف التقليد : هو الجزم بقول الغير،أو بفعله،أو باعتقاده من غير أن يعرف دليله.

اختلف العلماء – فيمن جزم بالعقائد عن تقليد – على أقوال ستة منها

أ – أنه مؤمن عاص إن كان عنده أهلية النظر.

ب – مؤمن غير عاص إن لم يكن قادراً عليه.

جـــ – أو أن يجزم بقول مقلده جزماً قوياً بحيث لو رجع مقلدُه عن قوله لم يرجع هو، وهذا هو المراد من قول صاحب الجوهرة :

إذْ كلُّ مـــنْ قَـــلَّدَ في التـــوحـــيدِ إيمانـــهُ لَمْ يَخْلُ مـــن تَرْدِيْـــدِ
ففيهِ بعضُ القـــــومِ يحكيْ الخُلْفَـــا وبعضُهُمْ حقَّقَ فيهِ الكَشْفَـــا
فقـــالَ إنْ يجـــزمْ بقـــــولِ الغَيْرِ كفـــى وإلا لم يَزَلْ في الضَّيْرِ

5ــ وجوب المعرفة : معرفة الله تعالى واجبة (فرض) على كل مكلف، ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، جني أو إنسي ونعني بالمعرفة **جزم القلب الموافق للحق عن دليل** ، فلا يكفي الظن في أمر التوحيد لقوله تعالى: {فا**علم أنه لا إله إلا الله**}، ولقوله تعـــــالى : {**إن الظن لا يغني من الحق شيئا**}. فلا بد مـــن عقد القلب على الإيمان ، ولذا سُمي اعتقاداً من العقد والربط ، كأنه ربط قلبه على ذلك الأمر وعقده عليه .

والمعرفة أولى الواجبات التي يجب معرفتها ومعرفة سائر أحكام الألوهية[1] ، لا معرفة ذاته وكنه حقيقته ، وفي أولية هذه المعرفة خلاف قائم بين أهل السنة وغيرهم ، وأهم هذه الأقوال في أولى الواجبات :

1 ــ قول الإمام الأشعري : وهو المعرفة .

2 ــ قول الإمام أبي اسحق الإسفراييني : أنه النظر الموصل إلى المعرفة .

3 ــ قول إمام الحرمين : إنه القصد إلى النظر ، أي تفريغ القلب عن الشواغل .

4 ــ التقليد .

النطق بالشهادتين .

وإجمالاً نقول عن أول الواجبات أنه المعرفة ووسيلته النظر أو القصد

---

[1] أول الواجبات على كل مكلف معرفة الله من حيث وحدة ذاته أو وحدة صفاته أو وحدة أفعاله ، ويليها معرفة أحكام العبادات والمعاملات وتزكية النفس وتخليصها من آفاتها وأخلاقها المذمومة .

إلى النظر ، ومن طرق المعرفة ووسائلها نظر العبد إلى نفسه ابتداءً لأنها أقرب إليه ، والنظر هنا ليس إدراك الشيء بحاسة البصر، بل المراد به الإدراك بالفكر [1] .

والنظر إلى نفسه يكون بالنظر إلى أحوالها ، وما اشتملت عليه من حواس وما يعتريها من رضى وغضب ولذة وألم ، وكل هذه الأحوال متغيرة (وكل متغير حادث) وما دامت هذه الحوادث قائمة بالذات ملازمة لها فذات صاحبها حادثة ، ولا بد لها من محدث ، وهو الله الواجب الوجود فنستدل بهذا النظر على وجوب الصانع وصفاته قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

ثم ينتقل العبد إلى العالم [2] لكونه أبدع وأعظم من فلكيات وسموات وكواكب . ثم ينتقل إلى العالم السفلي كالهواء والسحاب والأرض والبحار والجبال وصنع الله في الثمرات التي جعلها زوجين اثنين وكلها تسقى بماء واحد .

وحاصل ذلك أن نقول :

العالم حادث وكل حادث لابد له من صانع حكيم متصف بالصفات ← وهو الله تعالى خلقها على غير مثال سبق بإحكام وإتقان (بديع الحكم) .

ومادام ثبت أن العالم حادث ، دل على جواز عدمه وفنائه وبالتالي

---

[1] **النظر بالمنطق له مقدمتان كبرى وصغرى ليتوصل بهما إلى نتيجة فنقول :**

العالم متغير (مقدمة كبرى) ، كل متغير حادث (مقدمة صغرى) ← العالم حادث (نتيجة)

[2] العالم هو ما سوى الله تعالى وصفاته .

على أنه غير قديم بل يستحيل عليه القدم فنقول : العالم من عرشه إلى فرشه جائز عليه العدم ، وكل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم . فنتج أن العالم (من عرشه إلى فرشه) يستحيل عليه القدم فثبت حدوثه ، وإذا ثبت حدوثه فلا بد له من محدث .

والدليل على وجود الله تعالى هو هذا الوجود وما فيه من بديع صنع الله تعالى،وحين سُئل قس بن ساعدة الإيادي، هل لهذا العالم إله؟ قال : (**إن البعرة لتدل على البعير، وإن الأثر ليدل على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير**) قال صاحب الجوهرة:

واجـــزمْ بـــأنَّ أولاً مما يجبْ معرفةٌ وفيه خُلْفٌ مُنْتَصِبْ
فانظرْ إلى نفسك ثم انتقلِ للعـــالمِ العُـــلْوِيِّ ثم السُّفْلِي
تجدْ به صُنْعـــاً بَدِيْـــعَ الحِكَـــمِ لكنْ بـــه قـــامَ دليـــلُ العَـــدَمِ

لذلك ينفي أهل السنة والجماعة أن يكون العالَمُ قديماً وهو قول الفلاسفة وهذا القول كفر :

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا إذ أنكروها وهي حقاً مثبتة
علمٌ بجزئي حدوثُ عوالم حشرٌ لأجساد وكانت ميتـــة

وهذا ما دعى صاحب الجوهرة لأن يقول :

وكلُّ مـــا جـــازَ عليهِ العـــدمُ عليـــهِ قَطْعَاً يَسْتَحِيْلُ القِـــدَمُ

6 ــ أوصاف الإيمان الثلاثة :

فسر جمهور الأشاعرة والماتريدية الإيمان بالتصديق ، وهو تصديق

نبينا ﷺ في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة ، ومعنى التصديق الإذعان لما جاء به والقبول له. وهو نوعان :

تصديق إجمالي : كالإيمان بجميع الأنبياء والملائكة .

تصديق تفصيلي : كالإيمان بمن فصّلهم مولانا في الأنبياء الخمسة والعشرين ، بحيث لو عرض على المؤمن واحد منهم لم ينكر نبوته أو رسالته . وكذا الإيمان بالملائكة : إجمالاً الإيمان بوجودهم ، وتفصيلاً الإيمان بجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار وحملة العرش .

وهو (الإيمان) على أقسام :

إيمان عن تقليد : وهو إيمان العوام بدون دليل .

إيمان عن علم : وهو لأصحاب الأدلة .

إيمان عن عيان : وهو لأهل مراقبة الله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين .

إيمان عن حقيقة : وهو الإيمان الناشئ عن كون صاحبه لا يشهد إلا الله

للإيمان ثلاثة أوصاف : 1 - تصديق بالقلب 2 - ونطق بالشهادتين 3 - وعمل بالفرائض والواجبات الشرعية. ولأجل ذلك يقول علماء التوحيد أوصاف الإيمان : تصديق بالجنان وقول باللسان وكماله عملٌ بالأركان .

ولا بد من لفظ أشهد ، والتقريب بين الشهادتين والموالاة ، مع الرجوع عن كل عقيدة باطلة كأن يكون معتقداً قدم العالم فلا بد من

رجوعه عنه .

والنطق هو الطرف الإيماني الثاني وهو شرط لصحته على القادر، لذلك الأخرس لا يطالب بالنطق ، ومن صدق بقلبه و لم يقر بلسانه من غير عذر أو إباء فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية ، فإن أبى النطق فهو كافر ولو أذعن بقلبه .

ومن أقر بلسانه و لم يصدق قلبه ، فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله، هذا إن لم يعتقد فكرة ضالة .

والطرف الإيماني الثالث : العمل ، وهو شرط كمال لمن أتى به، ومن تركه فهو مؤمن وإن لم يستحل ما حرم الله تعالى ، قال تعالى {**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** } عطف العمل على الإيمان فدل على أن الإيمان غير العمل .

وقال السادة الماتريدية : إن الإقرار شطر ، فيكون النطق والتصديق اسماً لعملي اللسان والقلب، إن لم يأتِ به لم يصحَّ إيمانه .

وعلى كلا القولين فإن العمل الصالح معناه الامتثال والانقياد لما جاء به رسول الله ﷺ وعلم من الدين بالضرورة ومن العمل الصالح أركان الإسلام وأفضلها الصلاة فالصيام فالزكاة فالحج .

يقول صاحب الجوهرة:

وفُسِّرَ الإيمانُ بالتصديقِ والنطقُ فيهِ الخُلْفُ بالتحقيقِ
فقيلَ شرطٌ كالعملْ ، وقيلَ بلْ شطرٌ والاسلامَ اشْرَحَنَّ بالعملْ
مثالُ هذا الحجُّ والصَّلاةُ كذا الصِّيامُ فَادْر والزَّكَاةُ

7 ــ الإيمان يزيد وينقص :

الإيمان في القلب يــزيد بــفعل الطاعــات والصلــوات والــفرائض وغيرها من الأعمال الصالحة وينقص بفعل السيئات وترك الطاعات[1]، ولذلك ورد في الحديث أنه إذا فعل العبد المعصية نُكت في قلبه نكتة سوداء وهذا دليل نقص الإيمان، فإذا عمل عملاً صالحاً نُكت في قلبه نكتة بيضاء وهذا دليل زيادة الإيمان. قال تعالى { **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** }.قال الإمام البخاري « لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان يزيد وينقص [1] . وقال الإمام فخر الدين الرازي : إنه لا خلاف بين الأشاعرة والماتريدية لأن المقصود عندهم أن بذرة الإيمان الأساسية وأصله في القلب لا يزيد ولا ينقص وقال صاحب الجوهرة:

ورُجِّحَتْ زيــادةُ الإيمــــانِ بما تــزيدُ طــاعـــــةُ الإنســـانِ
ونقصـــهُ بنقصـــها وقيلَ لا وقيلَ لا خُلْفَ ، كـــذا قـــدْ نُقِلا

والأصح عندنا أنه يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدمها، وقد يزيد بمحض التجلي (إن لربكم في أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا

---

[1] وهو قول الأشاعرة . وهذا في حق الإنس والجن ، أما في حق الأنبياء فيزيد إيمانهم ولا ينقص ، وأما الملائكة فلا يزيد إيمانهم ولا ينقص . ولو لم يكن إيماننا يزيد وينقص لكان إيمان المنهمكين بالفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة وهو باطل .

[1] وقال السادة الماتريدية : لا يزيد ولا ينقص ، لأن الإيمان عندهم اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقص ، وقالوا إن الآيات والأحاديث مصروفة إلى الزيادة في الأعمال وليست في التصديق .

لها) ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم .

8 ــ أسماء علم التوحيد :1 - علم العقيدة 2 – أركـــــان الإيمـــــان 3 - علم أصول الدين 4 - علم التوحيد 5 - علم الكلام 6- الفقه الأكبر.

وقد انقسمت أبحاث علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

1 ــ إلهيات : وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإله .

2ــ نبويات : وهي التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء .

3 ــ سمعيات : وهي المسائل التي تتعلق أحكامها بالسمع، أي وردتنا سماعاً من الكتاب والسنة .

والتوحيد لغةً العلم بأن الشيء واحد ، ووحده توحيداً فهو واحد .

وشرعاً علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية، والمراد به: **إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً** .

والمعبود أقسام : الأول حق : وهو الله سبحانه وتعالى .

الثاني باطل : وهو عبادة الأهواء والأفكار والمبادئ وعبادة الدنيا وزخرفها .

والعبادة التذلل الظاهر عن انقياد ورغبةٍ أو خشية ورهبة في الباطن ومنه قولك : طريق معبد أي مذلل تطؤه الأقدام فإذا تذلل العبد لله سبحانه وقام بها مع مراقبته له فهو في عبادة .

والعبادة عامة لجميع أحوال المكلف ففي السوق عابد في أحكام البيع والشراء إذا راقب الله تعالى فيه ، وفي البيت عابد إذا راقب الله

تعالى فيه .

ومعنى إفراد المعبود بالعبادة : أي لا نقصد بهذا العلم إلا الله سبحانه وتعالى ورحم الله من قال : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

وقولنا مع اعتقاد وحدته : أي أن الله واحد أحد ، واحد في ذاته،واحد في صفاته وواحد في أفعاله .

والتصديق بها : أي العلم اليقيني الجازم المطابق للواقع عن دليل ، كما تقدم في تعريف العقيدة ، لأن العقيدة عند المسلمين مبنية على الأدلة اليقينية سواء منها النقلية أو العقلية ، لذا نصوا على أنه لا تقبل الأدلة الظنية في العقائد كي لا يقعوا تحت قوله تعالى { **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** } .

9 ــ بعض الفرق الضالة :

أ ــ *الجبرية* : نفوا الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب ﷻ، وأن العبد لا يوصف بالاستطاعة بل هو مجبور في أفعاله لاقدرة ولا إرادة ولااختياراً ، وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازاً ، وإذا ثبتت الجبرية فالتكليف كان جبراً قال ابن حزم : « احتجوا أنه لما كان الله تعالى فعّالاً لا يشبهه شيء من خلقه وجب أن لا يكون أحد فعالاً غيره»، وقد ضل كثير من الناس بهذا المذهب فانتقضت عزائمهم وقعدوا عن العمل وأغرق بعضهم بالفجور مستترين بهذا الستار ، جاء رجل إلى

سيدنا النبي ﷺ فقال له : رأيت أهل فارس ينكحون بناتهم وأخواتهم فإن قيل لهم لم تفعلون ؟ قالوا : قضاء الله وقدره . فقال ﷺ «**سيكون في أمتي من يقولون مثل ذلك ، وأولئك مجوس أمتي** » .

تبنى هذه النحلة في آخر العصر الأموي رجل يدعى / الجهم بن صفوان / الترمذي فأقيم عليه حد القتل .

ب ـــ *القدرية* : ظهرت هذه الطائفة في آخر عهد الراشدين وعصر الأمويين ، فإن كان الجبرية قد غالوا فنفوا بأن يكون للإنسان إرادة فيما يفعل ، فإن القدرية غالوا فقالوا ، إن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله تعالى ، واشتد بهم الأمر فقالوا (لا قدر والأمر أُنُف) فنفوا العلم والتقدير عن مولانا ونفوا الإرادة الأزلية والعلم الأزلي ليخرج فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخلاق فلقبوا بالقدرية ، أي نفي القدرة عن الله وإثباتها للعبد لينطبق عليهم الأثر القدريون مجوس هذه الأمة ، قال الشيخ مصطفى صبري « المجوس ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان» وكذلك القدرية ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان ويقولون إن الله لا يريده .

وتطورت هذه الطائفة على مدى العصور فتحولت إلى ما يشبه الثنوية وهم طائفة جعلوا العالم محكوماً بقوتين النور والظلمة ، وجعلوا الخير إلى النور ، والشر إلى الظلمة.

جـ ـــ *المرجئة* : نشأت هذه الفرقة في آخر عهد سيدنا عثمان حين ظهرت الفتن التي انتهت باستشهاده وسبب نشأتها حول مرتكب

الكبيرة هل هو مؤمن أو غير مؤمن ؟ فقالوا (أي المرجئة) لايضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

أما المعتزلة فقالوا : غير مؤمن ويسمى مسلم مجازاً .

قال الحسن البصري وبعض التابعين : هو منافق لأن الأعمال دليل على القلوب وليس اللسان دليلاً على الإيمان .

قال جمهور المسلمين : هو مؤمن عاصٍ أمره بيد الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

فاستهان المرجئة بأصل الإيمان فحرّفوا حقيقته وجعلوه مجرد الإذعان القلبي وإن خالفته الجوارح فعندهم الإيمان اعتقاد بالقلب وإن أعلن صاحبه عبادة الأصنام .

فعليه يمكن تقسيم المرجئة إلى قسمين : مرجئة السنة قالوا : إن مرتكب الكبيرة يعذب بمقدار ما أذنب ولا يخلد في النار ويرجأ أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، وهم أكثر الفقهاء والمحدثين .

مرجئة البدعة : الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة ، وهم الذين يستحقون مقالة السوء [1]

---

[1] انظر كتابنا مختصر تاريخ المذاهب الاعتقادية .

الباب الثاني

باب الإلهيات

ويقسم إلى ثلاثة أقسام : 1 - الواجبات 2 - الجائزات

3 - المستحيلات وهو ماعُلم من الحكم العقلي سابقاً.

1. الواجبات : لخّصها صاحب منظومة الشرنوبي فقال :

لـــه الوجود والبقاء والقـــدم مخـــالـــف لمـــا ينالـــه العدم

وقائـــم بنفسه وواحـــــد فهذه ســـت صفـــات تســـرد

منهـــا الوجود صفة نـــفسية والخمس بعـــدهـــــا هي السلبيـــة

وواجـــب لربنـــا المـــنـــان سبع صفات ســـميت معـــانـــي

علم ، إرادة ، وقدرة ، بصر ســـمع ، كـــلام ، وحيـــاة تعتبر

وسبعة قد لازمتها تدعى بمعنويـــــة فـــألـــق السمعـــــا

ككونه حياً ، مريداً ، قادرا وفـــي ثبوتها خـــلاف قـــد جـــرى
والحق لا اســـتغناء بالمعاني عنهـــا كمـــا حقـــق بالبرهـــان

فهي كما رأينا عشرون صفة تجب لله تعالى منقسمة إلى أربعة أقسام :

1 – صفة نفسية 2 – صفات سلبية 3 – صفات معانٍ
4 – صفات معنوية .

أ – الصفة النفسية : وهي صفة واحدة ، صفة الوجود ، وهي صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها ، أي أن ذاته تعالى موجودة لا معدومة بل لا يُتصور عدمها، ولهذا نقول إن مولانا ﷻ واجب الوجود : أي لا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً ووجوده تعالى لذاته [1] لا لعلةو لا من مادة وعنصر ، وليس موقوفاً على أمر آخر ، (وليس معلولاً عن غيره) (قانون العِلِّية) لقوله تعالى{ **لم يلد ولم يولد**} .

الدليل : والدليل على وجـــوده تعالى حدوث العالم وافـــتـــقـــاره إليـــه تعالى وكل مـــن وجب افتقار العالم إليه فهو واجب الوجود ، والمخلوقات تتغير من حال إلى حال وكل متغير حادث (أي موجود بعد عدم) وكل حادث لا بد له من محدِث أي خالق وما ذاك إلا الله سبحانه وتعالى، فثبت وجوده واستحال ضده.

وتسمى هذه الصفة بالصفة النفسية أي الذاتية لأن مولانا ﷻ يقول {**كتب ربكم على نفسه الرحمة** }أي على ذاته وهذه الصفة

---

[1] وأما نحن فوجودنا غير ذاتي فهو بفعله سبحانه وتعالى .

تنسب للذات لملازمتها لها وهي تدل على الذات بالمطابقة دون معنى زائد عليها كما تقدم .

ب ـــــ القِدَم [2] : أي أنه غير مسبوق بعدم فلا أول لوجوده [3] ﷻ وهـــو القائل { **هو الأول** } أي بلا بداية. فلا يدخل في وجوده زمان ولا مكان وهو السابق على الزمان والمكان. روى البخاري في كتاب بدء الخلق : « **كان الله ولا شئ غيره** » ويجب حينئذ اعتقاد حدوث العالم بأسره فالقديم حقيقة هو الخالق الموجد لكل شيء.

الدليل لو لم يكن قديماً لكان حادثاً (موجوداً بعد عدم) فيفتقر إلى موجِد، ولو افتقر إلى موجد لزم أن يفتقر موجِده إلى موجِد وهكذا حتى نصل في النهاية إلى موجَد وموجد (وهذا ما يسمى بالدور[3]) وافتقاره لموجدٍ محال في حق الله تعالى لأنه يؤدي إلى كونه حادثاً وقد ثبت كونه قديماً .

ج – البقاء : أي أنه لا آخر له فهو مستمر لا ينقطع وجوده قال لنا {**هو الأول والآخر** } وقال { **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**}.

فهو الأول بلا بداية، الآخر بلا نهاية وإلا احتاج إلى الموجد فكان

---

[2] وهي الأولى من الكلام على الصفات السلبية وهي غير منحصرة ولكن ما سنذكره هو من مهمات أمهاتها

[3] فهو القدم الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود ، وأما قدمنا فهو قدم زماني أي طول المدة وضبط بسنة، وهذا معلوم لنا من الصفة الأولى وهي وجوب الوجود لأنه يستلزم منها القدم والبقاء .

[3] أي دار الأمر ورجع إلى مبدئه فإنه إن رجع الأمر إلى الأول مباشرة أو بواسطة فهو الدور ، كما صرح به ، انظر باجوري ص52 .

حادثاً ووجب له من العجز ما يجب لسائر الحوادث .

الدليل: لو لم يكن باقياً لأمكن أن يلحقه العدم ولو لحقه العدم لكان حادثاً (أي لتغيره من الحالة التي كان عليها) وكونه حادثاً محال لما تقدم من ثبوت القدم له تعالى وقد اتفق العقلاء على أن (**من وجب قدمه استحال عدمه**)

د – مخالفته للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله : بمعنى أنه ليس مـــماثلاً لشيء مـــن مخلوقاتـــه : 1 – فليس جسماً.2- ولا عرضاً. 3- ولا كلاً. 4 – ولا جزءاً. 5- ولا محتاجاً إلى حركة أو سكون. 6- ولا قيام أو قعود. 7- ولا جهة ولا فوقية ولا سفل، ولا يكون فوق العالم ولا تحته. 8- ولا يقال كيف هو ولا أين هو ولا ما هو 9- ولا لماذا فعل كذا أو حكم بكذا ، لقوله تعالى { **ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير**}.

والقاعدة التوحيدية في ذلك هي : **كل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك** .

الدليل: على مخالفته للحوادث أنه لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً لها ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً مثلها وذلك محال لما ثبت من قدمه تعالى ولقوله {**ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير**}.وحينئذ فكل ما ورد مما يوهم شيئاً من ذلك فلا بد من تأويله (أي صرفه عن ظاهره

وسوف يمر باب التأويل) وإذا ألقى الشيطان إلى ذهن أحد :

إذا لم يكن المولى كما ذُكر فما هي حقيقته ؟.

فليقل في الرد عليه : لا يعلم حقيقة الله إلا الله تعالى {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**}، {**وما قدروا الله حق قدره**}.

وهذا ما دعى صاحب الجوهرة إلى القول :

فواجـــب له الوجـــود والقدم كذا بقاء لا يشاب بالعـــدم

وأنـــه لمـــا يـــنـــال الـــعـــدم مخالف برهان هـــذا القـــدم

هـ - قيامه بنفسه (أي الغنى) :

أي قيامه بذاته غنياً عن المحل والموجد، بمعنى أنه لا يحتاج إلى محل (ذات) ليظهر به،وغير محتاج إلى فاعل(موجد) يؤثر فيه الوجود فهو الغني بذاته عن كل شيء ، قال تعالى { **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** } .

الدليل: يُنظر إلى الدليل من جهتين : الأول الدليل على عدم افتقاره إلى المحل والثاني على عدم افتقاره إلى الموجد ، ولو افتقر إلى محل لكان صفة ولو كان صفة لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية الواجبة له تعالى فبطل افتقاره إلى المحل وبالتالي ثبت عدم افتقاره إلى المحل .

ولو افتقر إلى موجد لكان حادثاً ، وهو باطل لما تقدم من ثبوت القدم له تعالى .

وهو القائل ﷻ {**أفمن هو قائم على كل نفس بما**

كسبت}وقوله {**الحي القيوم**} .

و – الوحدانية : وهي عدم وجود شريك له سبحانه وتعالى في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو المنفرد بالإيجاد والإمداد ولا مؤثر معه في فعل من الأفعال قال الله تعالى {**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** } ، وهذا البحث (الوحدانية) من أشرف مباحث هذا العلم ولذلك سمي باسم مشتق منها(علم التوحيد) .

وهذه الصفة لها خمسة أطراف :

1 – 2 أن ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء وليس هناك ذات تشبه ذات مولانا.

3 – 4 وهو واحد في صفاته، فليس له صفتان من جنس واحد بل قدرة واحدة ، وإرادة واحدة ، وعلم واحد وهكذا ، وليس لغيره صفة تشبه صفته تعالى.

5 – وهو واحد في أفعاله أي ليس لغيره تأثير ما في فعل من الأفعال[1].

وهذا ما يسمى عند علماء التوحيد بالكموم الخمسة.

الدليل: على الوحدانية أنه إن لم يكن واحداً لكان متعدداً وإن كان متعدداً لما وجد شيء من المخلوقات، كيف وقد وجد، فظهر أن الموجد واحد[2] . قال تعالى : { **لو كان فيهما آلهة إلا الله**

---

[1] فإذا نسب لغيره تعالى فعل ما فإنما ينسب له على وجه الكسب والاختيار لا على وجه الإيجاد .

[2] الدليل الموسع على عدم التعدد في الباجوري ص60 .

لفسدتا }، أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجودهما فبطل ما أدى إليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله فثبت أن الله واحد ، وهذا هو الدليل النقلي الذي نبه عليه مولانا في هذه الآية . قال صاحب الجوهرة:

قيـــامُـــــهُ بالنفسِ وَحـــــدانيةْ مُنَزَّهَاً أوصافُهُ سَنـــيَـــةْ
عنْ ضِدٍّ اَو شِبْهٍ شَرِيكٍ مُطْلَقَاً وَوَالِدٍ كذا الوَلـــــَدْ والأَصْدِقـــَا

فليس له تعالى مشابه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو مترہ عن أن يكون له شبيه أو ضد أو نظير أو مثيل [3] أو أن يكون له ولد أو والد[4] فليس سيدنا عيسى ولداً بل خلقه الله بلا أب كما خلق سيدنا آدم، بل خَلْق سيدنا آدم أغرب حيث خلقه من تراب بلا أب ولا أم .

ويجب تنزيهه تعالى عن الصاحبة والصديق (على الوجه المعتاد في أن يعاون كلا الآخر وينفعه) ويجب تنزيهه عن الأعداء (على الوجه المعتاد من أن كلاً يؤذي الآخر أو يضره)[5] .

وهذه الصفات الخمسة تسمى عند علماء التوحيد بصفات السلب أي نفي أمر لا يليق بمولانا ﷻ .

إذ القدم سلبت الحد لأولية الوجود عنه تعالى، والبقاء سلبت الحد

---

[3] الشبيه هو المساوي في أغلب الوجود ، والنظير : المساوي في بعض الوجود ، والمثيل : المساوي في جميعها ، والشريك : المشارك من القدماء

[4] فهو ليس منفصلاً عن غيره .

[5] انظر في هذا المبحث تفسير سورة الإخلاص في كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية فقد نفت هذه السورة أنواع الكفر الثمانية .

لآخرية الوجود عنه تعالى، والمخالفة للحوادث سلبت مماثلته لها،والقيام بنفسه سلبت الافتقار، والوحدانية سلبت التعدد.

الصفات المعاني :

وهـــي سبـــع صفـــات : 1- القـــدرة.2- الإرادة 3- العـــلـــم. 4- الحيـــاة 5- السمع.6- البصر. 7- الكلام.

والمعاني جمع معنى وهي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً فمثلاً كونه تعالى قادراً يلازم القدرة ، فيكون المراد أن هذه الصفات هي معانٍ وجودية ونظيره قولنا : بلـــغ فلان مرتبـــة الاجتهاد « فإن المعنى مرتبة هي الاجتهاد » .

وسميت صفات المعاني لأنها تدل على معنى يدرك في المخلوق فمثلاً قدرة زيد ظاهرة للناس وكذا علمه ومشيئته، وهذه الصفات صفات قديمة قائمة بذات الله تعالى بحيث لو كُشف عنا الحجاب لرأينا مولانا متصفاً بها ومحقق وجودها به.

ز – الصفة السابعة: القدرة: وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاتـــه تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه[1] على وفق إرادته ﷻ فما خصصه بإرادته أبرزه بقدرته ، فلا تتعلق هذه الصفة إلا بالممكنات أي

[1] هذه إشارة إلى التعلق الصلوحي القديم أي صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لايزال بمعنى أن الممكن في قبضة القدرة فإن شاء الله أبقاه على عدمه أو على وجوده وإن شاء أوجده أو أعدمه .

لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل ، لأنها إن تعلقت بالواجب فإما أن توجده وهو موجود ، وإما أن تعدمه وهو لايقبل العدم ، ثم إن تعلقت بالمستحيل فإما لأن توجده وهو لا يقبل الوجود وإما أن تعدمه وهو معدوم أصلاً . وعدم تعلقها بهما ليس عجزاً ، أفرأيت إلى العين ووظيفتها الإبصار أفيعد نقصاً فيها إن لم تسمع الأصوات ؟! وإنما

العجز فيها إن لم تبصر .والمقصود بالممكنات هو جميع الخلق ولهذا يقول صاحب الجوهرة :

فقدرةٌ بممكنٍ تَعَلَّقَتْ بلا تَنَاهِيْ ما به تَعَلَّقَتْ

فكل ما أراد الله تعالى إيجاده أوجده وكل ما أراد إعدامه أعدمه فلا يخرج عن قدرته ممكن إذ لو خرج فرد من الممكنات لكان مستغنياً عن الواحد القهار وذلك محال على الله تعالى . قال تعالى**{والله خلقكم وما تعملون}**.

الدليل : على القدرة أنه لو انتفت عنه لكان عاجزاً عن الإيجاد والإعدام، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من المخلوقات مع أن وجودها ثابت بالمشاهدة.

ومن العامة من يقول : انظر إلى فعل قدرة الله والمقصود انظر إلى آثارها من الأكوان قال تعالى { **فانظر إلى آثار رحمة الله** } فإنْ قَصَدَ هذا القول كان قوله حراماً وأما إذا اعتقد أن القدرة تؤثر بنفسها

فهو كفر والعياذ بالله[1] .

ح – الصفة الثامنة : الإرادة :أو المشيئة :وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه[2] على وفق علمه تعالى كأن يخصص زيداً بالغنى وعمراً بالفقر أو بالوجود أو بالعدم أو بالجهل أو بالعلم أو بالطول أو بالقصر وغيرها من الهيئات والأجسام والألوان والجهات والأزمنة والأمكنة [3] قال تعالى {و **ربك يخلق ما يشاء ويختار**}

الدليل : على الإرادة أنه لو انتفت عنه الإرادة لكان مكرهاً فإن كان مكرهاً كان عاجزاً ، وكونه عاجزاً محال لأن الله تعالى قال: { **إن الله على كل شيء قدير** } فكل شيء ينشأ عن إرادته من دون تغيير ولا تبديل، والإرادة مرتبة عقلاً على العلم .

وفعله تعالى بالاختيار لا بالإكراه.

والإرادة والأمر والرضا أشياء متغايرة ، فقد يريد مولانا ويأمر كإيمان المؤمنين ، أراده منهم وأمرهم به ، وقد لا يريد ولا يأمر كالكفر من

---

[1] انظر الباجوري ص64 .

[2] إشارة للتعلق التنجيزي القديم وهو تخصيص الله الشيء أزلاً بالصفات التي يعلم أنه يوجد عليها في الخارج . ولها تعلق صلوحي قديم بأن الله خصص في الأزل ترجيح وجوده على عدمه .

[3] وهي ستة ممكنات متقابلات (متنافيات) الوجود ويقابله العدم ، والصفات (الأسود يقابله الأبيض مثلاً) والأزمنة، أي كونه وجد في الزمن أو في زمن حاضر أو في زمن مستقبل والأمكنة ، أي كونه وجد في مكان ما ، في دمشق مثلاً أو في الجزائر ، والجهات (مشرق ، مغرب) والمقادير (طويل ، قصير) .

المؤمنين ، وقد يريد ولا يأمر كالمعاصي أرادها منهم و لم يأمرهم بها ، وقد يأمر ولا يريد كإيمان الكافرين أمرهم بالإيمان و لم يرده منهم فلم يقع والله ﷻ { **لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**} .

ورضاه ﷻ هو قبول الشيء والإثابة عليه ، لأن الأرادة قد تتعلق بما لايرضاه مولانا كالكفر من الكفار فإنه أراده ولايرضى به ﷻ قال تعالى عن ذاته {**ولا يرضى لعباده الكفر**}.قال صاحب الجوهرة

وقدرة إرادة وغايرت أمراً وعلماً والرضا كما ثبت

ط – الصفة التاسعة : العلم: وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تنكشف له بها الأشياء انكشافاً تاماً بغير سبق خفاء، فالعلم صفة كشف وتجلٍ لا صفة تأثير فيعلم سبحانه ما هو عليه وما يجب له وما يستحيل أي أن العلم متعلق بكل واجب وجائز ومستحيل فيعلم مولانا أزلاً الموجودات على ما هي عليه ، وكونها وجدت في الماضي أو موجودة في الحال أو توجد في المستقبل ، يعلمها إجمالاً وتفصيلاً ويعلم الكليات والجزئيات ، ولايجوز أن يُعْتَقَد أن الله تعالى قد اكتسب علمه عن النظر والاستدلال ، لئلا يقال عن علم الله بأنه كسبي[1] لأنه يلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى ويلزم منه سبق الجهل في حقه وهذا محال ولهذا كل ما ورد مما يوهم أن علمه تعالى مكتسب كقوله تعالى {**ثم**

[1] ولا يقال ضروري ولا نظري ولا بديهي ، انظر باجوري ص70 .

بعثناهم لنعلم أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ فهو مؤول بأن مراده تعالى ليظهر لهم الحق متعلق علمنا ، قال صاحب الجوهرة:

وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لها ومِثْلُ ذِيْ إرادةٌ والعــلمُ لكنْ عَــمَّ ذِيْ
وعَمَّ أيضاً واجباً والمُتَنِعْ ومِثْلُ ذا كلامُــه فَــلْنَتَّبِعْ

قال تعالى { **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** }. وقال: {**ولا يحيطون بشيء من علمه** }.

الدليل : على العلم أنه لو انتفى عنه لكان جاهلاً ولو كان جاهلاً لم يكن مريداً إذ الجاهل بالشيء لا يصح أن يريده وهو محال لما تقدم من ثبوت الإرادة له تعالى ولقوله{ **فعّال لما يريد** }.هذا هو سبيل الحق في وجوب القدرة والإرادة والعلم له تعالى فاسلك طريق أهل السنة حيث اعتقدوا وجوب صفات المعــاني له وألقِ عنك الشبه التي لا يُعلم فسادها ولا صحتها . قال صاحب الجوهرة:

وعِلمُهُ ولا يُقَالُ مُكْتَسَبْ فاتبعْ سبيل الحقِّ واطرحِ الرِّيَبْ

ي – الصفة العاشرة : الحياة: وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يستحيل وجود الصفات بدونها [1] ،وحياته تعالى لذاته ليست بروح بعكس المخلوقات فحياتها بروح.

---

[1] أما في حقنا فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة (كما في المجنون) .

الدليل: على الحياة أنه إذا انتفت عنه لكان ميتاً ولو كان ميتاً يلزم منه انتفاء العلم وغيره من الصفات فإذا انتفت عنه الصفات انعدمت المخلوقات وهو باطل لأنها موجودة بالفعل. والدليل النقلي قوله تعالى { **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** }.

وقد اختلف في مسألة الإدراك وهي في حقه تعالى يدرك بها الملموسات كالنعومة والخشونة والمشمومات والمذوقات من غير اتصال بمحالها التي هي الأجسام وإنما أثبتها بعض أهل الكلام لأنها من كمالاته وكل كمال واجب لله ، وإنما نفاها بعضهم للزوم اتصالها بالأجسام ، ولما تعارضت الأقوال فيها توقف عن القول بإثباتها آخرون وهو الأسلم والأصح . قال صاحب الجوهرة:

حياتُهُ كذا الكلامُ السمعُ ثمَّ البصرْ بِذِيْ أَتَانْا السمعُ

فهلْ لهُ إدراكٌ اَوْ لا، خُلْفُ وعندَ قومٍ صحَّ فيهِ الوَقْفُ

ك – ل – الصفتان 11 – 12 : السمع والبصر :وهما صفتان وجوديتان قائمتان بذاته تعالى ينكشف بهما كل موجود على ما هو عليه فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات ، ويبصرها ولو كانت خفية كدبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء .

قال صاحب الجوهرة:

وكلُّ موجودٍ أَنِطْ للسمعِ بهْ كذا البصرْ إدراكُهُ إنْ قِيْلَ بهْ

وغـــير عـــلـــمٍ هـــذه كما ثبت ثم الحياة مـــا بشي تـــعلقت

وصفات الكلام والسمع والبصر والإدراك غير العلم كما ثبت تغايرها شرعاً ، فكنه كل واحدة منها غير كنه الآخر ونفوض علم ذلك إليه سبحانه وأما الحياة فلا تتعلق بشيء سواء كان معدوماً أو موجوداً لأنها صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك .

ولهذا يجب الاعتقاد أن الانكشاف الحاصل بالبصر وأن الانكشاف الحاصل بكل منهما غير الانكشاف الحاصل بالعلم، وأن لكل من هذه الانكشافات حقيقة يفوض علمها إلى الله تعالى أي أن سمعه وبصره غير سمعنا وبصرنا فليس سمعه وبصره بآلة أو جارحة لأنه تعالى ليس مجسماً ولا مركباً كما تقدم .

الدليل: ولو لم يكن مولانا سميعاً ولا بصيراً لكان أصم وأعمى وذلك نقص وهذا محال عليه تعالى وأما الدليل النقلي فقوله تعالى **{وهو السميع البصير }**.

م ـــــ الصفة 13 : الكلام : وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل معلوم. وكلامه تعالى منزه عن الحرف والصوت ومنزه عن التقديم والتأخير ومنزه عن الكل والبعض والتجديد والسكوت[1] واللحن والإعراب، ومنزه عن الآفة الباطنية [2] ، وأما

---

[1] أنه لا يدبر الكلام في نفسه مع القدرة عليه .

اللفظ الذي نقرأه من القرآن فهو حادث ، حروفه مخلوقة تدل على الكلام القديم وهذا هو المراد بقولهم : القرآن حادث ومدلوله قديم، وأرادوا بمدلوله الكلام النفسي ، ومن نسب القرآن لغير الله تعالى فهو كافر ، قال الطحاوي من سمع آيات القرآن فزعم أنها من كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وأوعده سقر ، قال تعالى { **سأصليه سقر** } وقد أوعده بذلك على قوله { **إن هذا إلا قول البشر** } وكلامه النفسي[3] القديم القائم بذاته متعلق بالجائزات والمستحيلات فلا تناهي لمتعلقاته وصفة الكلام واحدة لا متعددة بل انعقد الإجماع على نفي كلام ثانٍ قديم ،وتعلقه تعلق دلالة فهو يدل على أن ذاته وصفاته واجبة ، وعلى أن الشريك والصاحبة والولد مستحيلة ، ويدل على أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار (وعد ووعيد) وفيه الأوامر والنواهي .

وَوَحْدَةً أوجِبْ لها ومثلُ ذِي إرادةٌ والعلمُ لكنْ عَمَّ ذِيْ
وعَمَّ أيضاً واجباً والمُمْتَنِعْ ومثلُ ذا كلامُهُ فَلْنَتَّبِعْ

وكيفية الكلام مجهولة لا يعلمها إلا الله ﷻ .

الدليل : على الكلام أنه لو لم يكن مولانا متكلماً لكان أبكم وذلك نقص والنقص محال عليه تعالى .

---

[2] أن لا يقدر على الكلام كما في حالة الخرس والطفولية فهما مانعان من الكلام الظاهري .

[3] الكلام النفسي ثابت لغةً كما في قوله تعالى (يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقول سيدنا عمر رضي الله عنه إني زَوَّرْتُ في نفسي مقالة . وقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ولما كَثُرَ الجدل والكلام في صفة كلامه تعالى زمن الإمام أحمد بن حنبـــــل رضي الله عنه سموا علم التوحيد علم الكلام .

والدليل النقلي قوله تعالى: {**وكلم اللهُ موسى تكليما**}.

وعلى كل حال فالحق عز وجل كلامه عن علمه وما دام علمه قديماً فالقرآن قديم .

ن - الصفات 14 - 20 : وهي **الصفات المعنوية** الملازمة للصفات المعاني.

فـــ قادر يلازم القدرة ، ومريد يلازم الإرادة ، وعالِم يلازم العلم وحي يلازم الحياة ، وسميع يلازم السمع، وبصير يلازم البصر، ومتكلم يلازم الكلام، فكل منها يعني قيام الصفات المعاني بذاته تعالى،وتعني أن هذه الصفات غير مكتسبة. قال صاحب الجوهرة:

حيٌ عليمٌ قادرٌ مـــريـــدُ سَمِعْ بصيرٌ ما يَشَا يُرِيْدُ
متْكلمٌ ثُـــمَّ صفاتُ الذَّاتِ ليستْ بِغَيْرٍ أو بِعَيْنِ الذَّاتِ

الدليل: على كونه تعالى قادراً ومريداً وعالِماً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً يُعلم مما مر من أدلة القدرة وما بعدها من الصفات فمثلاً لو انتفى كونه قادراً لانتفت القدرة لما بينهما من التلازم وإذا انتفت القدرة ثبت ضدها وهو العجز وهذا محال لما تقدم من الدليل، ويقال مثل ذلك لبقية الصفات.

وحقيقة الصفات غير حقيقة الذات ولهذا قال الأئمة : ليست بغير

الذات ولا بعين الذات[1] أما الصفة النفسية الوجود فإنها عين الموجود وهي ليست زائدة على الذات ، لأنه لو كانت الصفات هي عين الذات للزم اتحاد الصفات والموصوف وهو لا يُعقل و لم تكن غيرها لأنها قائمة بالذات ، وكل أسمائه ﷻ وصفاته قديمة ولا يجوز أن نسميه أو نصفه إلا 1- بما سمى به نفسه أو 2- وصف به نفسه أو 3- انعقد الإجماع على تسميته به كصفته (القديم) ، وهذا معنى قوله إن أسماءه تعالى وصفاته توقيفية قال صاحب الجوهرة :

وعنـــدنـــا أسمـــاؤه العظيمةْ كذا صفات ذاته قـــديمـــةْ

واختـــير أن اسماه توقيفيـــةْ كذا الصفات فاحفظ السمعيةْ

واتفق علماء العقيدة على أنه لا يجوز أن يطلق عليه سبحانه اسم ولا صفة توهم نقصاً ولو ورد ذلك نصاً فلا يقال : ماهد ولا زارع ولا فالق ولا ماكر ولا بنّاء فهذا سيدنا أبو القاسم القشيري يقول : «الأسماء تؤخذ بتوقيف من الكتاب والسنة والإجماع ، فكل اسم ورد فيهما وجب إطلاقه في وصفه ، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه» وهذا معنى قوله تعالى : { **وذروا الذين يلحدون في أسمائه** } فقد قال المفسرون في الإلحاد بأسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب والسنة وهذا مذهب الجمهور.

---

[1] انظر الباجوري ص80 . أي الصفة غير الموصوف ، والصفة لا تنفك عن الموصوف .

ومن الأسماء ما قد يوهم معنى لايليق به تعالى كالصبور والشكور والحليم ، فالصبور يوهم وصول مشقة له تعالى وهذا لا يليق به فيفسر بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وكذا الحليم ، وأما الشكور فقد يوهم كثير الشكر لمن أحسن إليه مع أن الإحسان كله من الله ، فيفسر في حقه تعالى بالذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ولذا يلزم علينا حفظ الأسماء والصفات لأنها لاتطلق عليه إلا بإذن شرعي.

وقد أورد مولانا الإمام الغزالي بأنها غير محصورة على تسعة وتسعين ، ثم ذكر منها: الهادي والكافي والدائم والبصير والنور والمبين والجميل والصادق والمحيط والقريب والقديم والوتر والفاطر والعلاّم والمليك والديان . ومما وقع عليه الاتفاق بين الفقهاء والعلماء من الأسماء : المريد والمتكلم والموجود والشيء والذات والأزلي والأبدي .

وعليه فكل ما نطق به القرآن من أسمائه تعالى أو وردت به السنة أو أجمعت عليه الأمة من أسمائه تعالى جائز إطلاقه عليه وما خرج من هذه الأقسام فلا يجوز وصف الله تعالى به .

وهذه الأسماء من أحصاها واعتقدها ومات على ذلك فهو من أهل الجنة ، لا من أحصاها لفظاً فقط إذ قد يحصيها أهل الشرك وغيرهم وليسوا من أهل الجنة .

المحال في حقه تعالى :

يستحيل على مولانا تعالى أضداد الصفات العشرين السابقة قال

صاحب الجوهرة:

ويَستحيلُ ضِدُّ ذِيَ الصِّفَاْتِ في حقِّهِ كالكونِ في الجِهَاْتِ

وهي :

1– العدم : أي الفقدان .

2– الحدوث : أي الوجود بعد العدم .

3 – الفناء : وهو حصول العدم بعد إذ لم يكن .

4– مشابهته للحوادث: وأنواعها عشرة :

ً1- أن يكون جرماً . ً2- أن يكون عرضاً يقوم بالجرم. ً3- أن يكون في جهة الجرم، فهو ليس فوق العرش ولا تحته ولا نحو ذلك. [1] ً4ـ أن يكون هو له جهة ، فليس له فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال . ً5ـ أن يكون في فراغ (مكان). ً6ـ أن يكون في زمان. ً7ـ أن يكون محلاً للحوادث (الحركة، السكون، السواد، البياض.....). ً8ـ أن يكون متصفاً بالصغر (قلة الأجزاء) ً9ـ أن يكون متصفاً بالكبر. ً10ـ أن يكون متصفاً بالأغراض في الأفعال والأحكام فليس فعله (كإيجاد زيد) ولا حكمه (كإيجاب الصلاة) لغرض (مصلحة) يبعثه على ذلك ولا ينافي أن الحكمة عائدةٌ لخلقه.

---

[1] معتقِد الجهة إذا كان عامياً لا يكفر ، بخلافه عند العلماء كما نقله الإمام النووي ، انظر الباجوري ص97 .

5 – قيامه بغيره : أي أن يكون له ذات يقوم بها أو محل يحل به أو موجد يوجده.

6 – التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال .

7 – العجز : عن فعل الممكنات (ضد القدرة).

8 – الإكراه : أن يفعل شيئاً بغير اختياره ومعنى الكراهة هنا العقلية لا الشرعية، لأن الله تعالى قد يوجد الشيء وهو كاره له شرعاً فالمكروه والمحرم لا يقعان إلا بإرادته تعالى سبحانه، فلا يجري في ملكه قليل أو كثير نفع أو ضر، إيمان أو كفر، غنى أو فقر، طاعة أو عصيان،فوز أو خسران إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته .

9 – الجهل : بأمر من الأمور بسيطاً كان الجهل (عدم العلم بالشيء)،أو مركباً (اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع) .

10 – الموت : أي عدم الحياة .

11 – الصمم : عدم السمع، أي غيبة شيء ما من الموجودات عن سمعه سبحانه وتعالى .

12 – العمى : عدم الإبصار .

13 – الخرس : أي البكم .

14 – كونه عاجزاً .

15 – كونه مكرهاً .

16 – كونه جاهلاً .

17 – كونه ميتاً .

18 – كونه أصم .

19 – كونه أعمى .

20 – كونه أخرس .

تعالى وجلّ وعظم عن هذه الأضداد علواً كبيراً .

الجائز في حقه تعالى :

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه على حسب ما يشاء صلاحاً أو ضده .

وجائزٌ عليه فعلُ الممكنِ وترْكُهُ إنْ لم يشأ لم يكنِ

ومن الجائزات الخلق والرزق، والإماتة والإحياء ، والصحة والإسقام ، والقضاء والقدر ، وفعل الصلاح والأصلح ، ورؤية الله تعالى يوم القيامة للمؤمنين ، والسمع لكلامه القديم ، والبعث لرسله الأكرمين ، والثواب في جنات النعيم والهدى للمؤمنين، والضلال للمجرمين، والإيمان والكفر .

قال صاحب الجوهرة:

وجائزٌ في حقهِ ما أمْكَنَا إيجاداً اعداماً كَرَزْقِه الغِنَا
فخالقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ مُوَفِّقٌ لِمَنْ أرادَ أنْ يَصِلْ
وخاذلٌ لمن أرادَ بُعْدَه ومُنْجِزٌ لمنْ أرادَ وَعْدَه
فَوْزُ السَّعِيدِ عندَهُ فى الأزل كذا الشَّقِيُّ ثُمَّ لم يَنْتَقِل

وعندَنَا للعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا ... بِهِ ، ولكنْ لم يؤثِّرْ فَاعْرِفَا
فَلَيْسَ مجبوراً ولا اخْتِيَارَا ... وليس كُلاًّ يَفْعَلُ اخْتِيَارَا
فإنْ يُثِبْنَا فَبِمَحْضِ الفَضْلِ ... وإنْ يُعَذِّبْ فَبِمَحْضِ العَدْلِ
وقولُهُمْ إنّ الصّلاَحَ واجبُ ... عَلَيْهِ زُوْرٌ ما عليه واجبُ
أَلَمْ يَرَوْا إِيلاَمَهُ الأَطْفَالا ... وَشِبْهَهَا فَحَاذِرْ المُحَالا [1]
وجائزٌ عَلَيْهِ خَلْقُ الشَّرِّ ... والخيرِ كالإسلامْ وجَهْلِ الكُفْرِ
وواجبٌ إِيْمَانُنَا بالقدر ... وبِالقَضَا كَمَا أَتَى في الخَبَرِ
ومِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالأَبْصَار ... لَكِنْ بِلا كيفٍ ولا انْحِصَار
لِلْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ بِجَائِزْ عُلِّقَتْ ... هَذَا وِلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَتَتْ
ومِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيْعِ الرُّسْلِ ... فَلا وُجُوْبَ بَلْ بِمَحْضِ الفَضْلِ

فالجائز عقلاً هو ما يجوِّز العقل وجوده وعدمه قال تعالى { **وربك يخلق ما يشاء ويختار** }.

◆ ومن الجائز في حقه تعالى إيجاد تأثيره عند الأسباب العادية، فيوجد الاحتراق عند النار، والضوء عند الشمس، والنور عند القمر والمصباح، والجوع عند عدم الأكل، والري عند الشرب، والستر والوقاية عند لبس الثوب ، والقطع عند السكين، والشفاء عند التداوي.

فمن نسب للأسباب التأثير فقد أشرك بالله. فلا تأثير للنار في الحرق

---

[1] المُحالا: بضم الميم: الممتنع شرعاً، وبكسرها: بمعنى العقاب، وبفتحها: بمعنى الشك، فعلى المعنى الأول: فإحذر الممتنع، وعلى الثاني : فاحذر عقاب الله تعالى، وعلى الثالث: فاحذر الشك في ذلك.

وللطعام في الشبع وللسكين في القطع.... الخ . فمن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بنفسه فلا نزاع في كفره، ومن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بقوة أودعها الله تعالى فيه فهو فاسق وأما عقيدتنا أهل السنة والجماعة فنقول : **إن المؤثر هو الله تعالى ولكن أجرى العادة أن يخلق عند الأسباب مع صحة التخلف** أي قد لا تقطع السكين وقد لا تحرق النار ونقول أيضاً إنه **لا تأثير لأحدهما في الآخر ألبتة إلا بعلم الله** [1]

◆ وقد اتفق الناس على أن الله خالق للعباد ولأفعالهم الإضطرارية واختلفوا في أفعالهم الاختيارية والحق الذي هو عقيدة أهل السنة أن الله خالق لها أيضاً .

◆ كما خلق في العبد القدرة على الطاعة، أي أن الله موفق للعبد الذي أراد الله أن يصل برضاه عنه ومحبته له وخلق قدرة المعصية في العبد الذي أراد بعده عن رضاه ومحبته . ولايقال لماذا خلق الله المعصية؟ لأنه خلقها لحكمة يعلمها هو ﷻ وقد وقع للامام الإسفراييني أنه كان عند الصاحب ابن عباد فدخل عليه أحد المعتزلة فلما رأى الامام قال : سبحان الذي تتره عن الفحشاء. فقال الامام: سبحان الذي لايجري في ملكه الا مايشاء . فقال المعتزلي: أفيريد ربنا أن يعصى؟!. قال الامام : أفيعصى ربنا كرهاً ؟!. قال المعتزلي: أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟! قال الامام : ان منعك ماهو لك فقد أساء، وإن منعك ماهو له فهو يختص برحمته من يشاء.

---

(1) انظر الباجوري ص98 ــ 100 .

وبالجملة فهو سبحانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، والكل بخلقه، فليست الطاعة مستلزمة للثواب، وليست المعصية مستلزمة للعقاب، وإنما هما أمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى.

فإثابة مولانا لنا إنما هي بفضله الخالص وليست واجبة عليه تعالى، لأن طاعات العبد وإن كثرت لاتفي بشكر بعض ماأنعم الله به عليه، فكيف يتصور استحقاقه عوضا عليها؟! ولذا فإن عذبنا فتعذيبه إنما هو بالعدل الخالص .

- **ومنجزُ لمن أراد وعده :**

وهو معطٍ لمن أراد به خيراً ما وعده على لسان نبيه أو في كتابه ، فَوَعْدَ الله المؤمنينَ الجنة لا يتخلف شرعاً قطعاً لقوله تعالى **{ وَعْدَ الله لا يخلف الله وعده ، إن الله لا يخلف الميعاد }** وإلا لزم الكذب والسفه والخُلْف وهو باطل ، فالخلف في الوعد يجب تنـــزيهُ الله عنه ، هذا باتفاق ، أما الوعيد فيجوز الخلف فيه عند الأشاعرة لأنه لايعد نقصاً بل يعد كرماً يمتدح به ﷻ .

والسعيد ما قدر الله سعادته لا ينقلب شقياً ، والسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا تتغيران ولا تتبدلان ، لأن السعادة هي الموت على الإيمان ، والشقاوة هي الموت على الكفر والعياذ بالله ، وإن سبقهما ما ينافيهما لما ورد في الصحيح : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة

حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

◆ وليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب فليس مجبوراً ولا خالقاً لها،والواجب اعتقاده أن بعض أفعاله صادر باختياره وأن البعض الآخر اضطراريٌ ولهذا ففضل الله علينا كبير أن أثابنا على أعمالنا ، وإن عذبنا فهو بعدله يفعل ما يشاء ﷻ .

◆ ومن الجائزات في حقه تعالى فعل الصلاح والأصلح فلو كان هناك أمران أحدهما صالح والآخر فاسد قالت المعتزلة يجب على من فعل الصالح منهما ، ولو كان هناك أمران أحدهما صالح والآخر أصلح منه قالت المعتزلة يجب على الله فعل الأصلح منهما وهذا كذب افتراء على الله بل هو جائز عقلاً لا واجب . ولأنه لو وجب عليه ذلك لما خلق الكافر والفقير في الدنيا ولا عذّب الكفار في الآخرة بالعذاب الأليم ، لأن الأصلح للكافر عدم خلقه وإن خلق فإن الأصلح له إماتته صغيراً أو سلب عقله قبل التكليف .

وكذلك لو وجب عليه ذلك لما أخرج سيدنا آدم من الجنة بعد أن كان فيها ، وقد مثّل صاحب الجوهرة بمثال لعدم وجوب الصلاح والأصلح على مولانا فقال :

ألم يَرَوا إيلامَه الأطفالا وشِبْهَهَا فحاذِرِ المُحَالا

وحكمة إيلامهم حصول الثواب عليه لأبويهم ، لأن ذلك من المصائب التي يثاب العبد عليها ، ولهذا قال إمام الحرمين رضي الله عنه :

شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لأنها نعم حقيقة .

قال تعالى : {**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**}. فالنعم الباطنية منها المصائب والموت وكفى بك قوله عليه الصلاة والسلام : «الموت تحفة المؤمن».

وقال سيدنا عمر ﷺ : ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم :

- إذ لم يكن في ديني .
- وإذ لم يكن أعظم.
- وإذ لم أحرم الرضا به .
- وإذ أرجو الثواب عليه .

◆ وجائز في مذهب أهل السنة والجماعة أن يخلق الله الخير والشر وإنما لا ينسب إليه الشر أدباً مع الله تعالى وهو القائل { **قل كلٌ من عند الله** }. فالأدب أن لا ينسب له تعالى إلا الحسن، فينسب الخير لله والشر للنفس كسباً، وإن كان منسوباً لله إيجاداً، قال تعالى {**ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**} أي كسباً، كما يفسره قوله تعالى { **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**}. وأما قوله تعالى : {**قل كل من عند الله**} فرجوع للحقيقة ، وانظر إلى أدب نبي الله الخضر عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حيث قال: فأردت أن أعيبها نسب العيب

لنفسه مع أنه قال في نهاية الموقف: { **وما فعلته عن أمري** }، وتأمل قول الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { **الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت** ...} فلم يقل أمرضني تأدباً مع مولانا عز وجل وإلا فالكل من الله تعالى . ولا يقال لماذا أراد الله خلق الشر؟ لأنه يتصرف في ملكه حسبما يشاء خيراً أو شرا لا يسأل عما يفعل.

ويحكى أن إبليس لعنه الله تمثل بين يدي الإمام الشافعي رضي الله عنه وقال: يا إمام ما تقول فيمن خلقني لما اختار، واستعملني فيما اختار، وبعد ذلك إنْ شاء أدخلني الجنة وإنْ شاء أدخلني النار، أعدل في ذلك أم جار؟

قال الإمام: فنظرت في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلت: ياهذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فاضمحل ابليس وتلاشى ثم قال: والله ياشافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة.

♦ ومما يجب علينا : الإيمان بالقضاء والقدر أي الرضا بهما ، لكن لا يجوز الاحتجاج بالقدر قبل وقوعه توصلاً إليه كأن يقول شخص : قدّر الله علي الزنا يريد بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا، ولا بعد الوقوع تخلصاً من الحد .

والقدر إيجاد الله الأشـــياء على قدر مخصوص ووجه معين أراده الله

تعالى ، والقضاء إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال .

وكلاهما راجعان للعلم والإرادة وتعلق القدرة .ودليلهما سمعي، فعن سيدنا علي رضي الله عنه يقول ﷺ : « **لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمنَ بالقدر خيرِه وشره حلوِه ومرِه**».

◆ ومن الجائزات في حقه تعالى رؤيتُه يوم القيامة بالأبصار للمؤمنين والمؤمنات والملائكة ومؤمني الجن وأهل الفترة «على القول بنجاتهم» قال تعالى {**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**} لأن الباري عز وجل موجود وكل موجود يصح أن يُرى ، فالباري عز وجل يصح أن يرى.

يقول الإمام مالك رضي الله عنه « **لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه**، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعَيَّرْ الكافرون بالحجاب قال تعالى {**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**} .

وقال مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنه « **لما حجب قوماً بالسخط دلّ على أن قوماً يرونه بالرضا** » ، ثم قال « أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا » .

لكن بلا كيف ولا انحصار وهو قوله تعالى {**لا تدركه الأبصار**} .أي بلا تكيف للمرئي بكيفية من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك.

وقد علقها مولانا بأمر جائز عقلاً وهو استقرار الجبل حين سأله

موسى { **رب أرني أنظر إليك ، قال : لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**.

ولو لم تكن جائزة لما سألها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، لأنه نبي يعلم ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز، اذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية. وقد رد شاعر من أهل السنة والجماعة على المعتزلة حين أنكروا الرؤية فقال :

أترى الكليم أتى بجهل ما أتى وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفةْ

وأعظم شيء في الجنة رؤية مولانا ﷻ من قبل المؤمنين بعد أن يكونوا قد تلذذوا بالنعيم المقيم :

فينســـون النعيـــــم إذا رأوه فيـــا خسران أهل الاعتزال

فيراه أهل الجنة في مثل يوم العيد والجمعة، ويراه خواصهم كل يوم بكرة وعشية ، وبعضهم لا يزال مستمراً في الشهود وقد وقعت رؤيته تعالى لسيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج والراجح عند أكثر العلماء أنه ﷺ رأى ربه بعيني رأسه. (ذكره الإمام النووي رضي الله عنه في شرح مسلم)، وقد نفت السيدة عائشة وقوعها له ﷺ ولكن قدم عليها قول ابن عباس لأنه مثبِت، والقاعدة أن المثبِت مقدم على النافي حتى قيل: ما عائشة عندنا من ابن عباس. وأما رؤيته تعالى مناماً فنقل القاضي عياض أنه لا نزاع في وقوعها وصحتها فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء ، وقد حكي عن عدد من الصالحين أن رأى الله تعالى في

منامه منهم الامام أحمد رضي الله عنه والسيد الوالد رحمه الله تعالى.

◆ ومن الجائزات إرسال الرسل إلى الأمم من لدن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد ﷺ .

الدليل : على أن فعل الممكنات أو تركها جائز في حقه تعالى لأنه لـــو وجب شيء منها عقلاً أو استحال لانقلب الجائز واجباً لا يصـــح عدمه ، أو مستحيلاً لا يصح وجوده وذلك محال لأنه يقلب الحقائق .

الباب الثالث

التفويض أم التأويل

إذا ما ورد نصان في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ ظاهرهما فيه تناقض فلابدّ من الجمع للعمل بهما، ولا يفرق بين آيات الله في العمل بها إلا إذا ورد نص متأخر ينسخ المتقدم فيكون العمل بالأخير، لكن النسخ لا يكون في أمر يتعلق بالاعتقاد بل هو خاص في علم الفروع

كصلاة وصوم وحج ونحوها، وكذا لا يكون النسخ في الخبر إذا كان المقصود منه الإخبار وأما إذا كان خبراً يراد به أمر أو نهي فيدخله النسخ لأن المراد به الحكم دون الخبر فالنسخ يتعلق بالأحكام فقط .

وحديثنا فيما يتعلق بالاعتقاد فيجب :

الجمع بين النصوص الاعتقادية فإذا قرأنا قوله تعالى { **الرحمن على العرش استوى** } وقوله { **وهو القاهر فوق عباده** } وقوله {**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** } وقوله { **وهو معكم أينما كنتم**}وغيرها من الآيات والأحاديث المتشابهة .

وجب علينا الجمع بين ما ظاهره الجهة فيحمل ذلك على المجاز لتعذر الحقيقة [1] ولكي لا نشبّه الله تعالى بمخلوقاته، فإذا كان العبد واسع القلب فسيح الصدر، عظيم الذوق والإدراك. **يرد علم ذلك إلى الله تعالى وينـــزهه عن المعنى الحسي المفهوم من ظاهر الكلام** (وهذا هو التفويض) كما كان عليه قرن الصحابة ومن تبعهم بإحسان.وهذا المذهب الأسلم والطريق الأقوم فيقول مثلاً في قوله تعالى { **الرحمن على العرش استوى** } استوى كما أخبر، وعلى الوجه الذي أراد، وبالمعنى الذي شاء، استواءً مترهاً عن الحلول والانتقال ، فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي

---

[1] والقاعدة في علم الأصول: لا يعمد الى المجاز الا اذا امتنعت الحقيقة.

وعظمته محمول بلطف قدرته مقهور بجلال قبضته (كان الله ولا شيء غيره) لم يتغير عما كان، علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون . فالاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .

وإن كان ليس من فرسان هذا الميدان فليرجع إلى التأويل كما عليه أئمة معتبرون (وهم من جاء بعد القرون الخمسمئة الهجرية الأولى) لفهم القاصر وتطميناً لقلبه ودفعاً لخواطره .

والتأويل هو : صرف المعنى الظاهر المحال في حق الله تعالى إلى معنى يليق بذاته وصفاته وأفعاله ﷻ .

والتأويل في الآية السابقة له ثلاثة معانٍ :

1 - استوى بمعنى جلس : وهذا محال في حقه تعالى .

2 - استوى برحمانيته على العرش وكبريائه وعظمته من قوله تعالى {**ورحمتي وسعت كل شيء**} .

3 - يفسّر الاستواء بالاستيلاء على العرش نحو قولهم : استوى بِشر على العراق، وهذا المعنى يقال لمن لا يفهم .

وكما نلاحظ أن مولانا قال : { **الرحمن على العرش استوى** } ولم يقل الله على العرش استوى إذ استوى برحمانيته ، وهذا ما يسمى بالتأويل وهو الطريق الأحكم.

وقد فهمت اليهود لعنهم الله تعالى من مثل هذه الآية في التوراة أن

المراد هو الاستقرار الحسي قالوا : إنه تعالى تعب من خلق السموات والأرض في ستة أيام، فلما فرغ استلقى يوم السبت على العرش فاتخذوه عيداً وراحة، وهذا من شؤم فهمهم.

كما فهم مثل فهمهم جماعة من الحنابلة المتأخرين فوقعوا في ورطة التجسيم والتشبيه، فياليتهم قلدوا إمامهم في منع التأويل، لكنهم تبعوه في بعض وخالفوه في بعض. وكما قيل : حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياء . وقد سُئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الآية السابقة فقال: « **الاستواء كما يقول لا كما يخطر في العقول** » كما سُئل الإمام مالك رضي الله عنه فأجاب بقوله : « **الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة** » . وسُئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عنه فقال: « **آمنت بالله واتهمت نفسي** » فكل منهم أجاب بالتسليم فمذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم لمن لا يفهم.

بعض الألفاظ المؤولة :

قسم علماء العقيدة الألفاظ المؤولة إلى خمسة أقسام:

أولا: مايوهم الجهة نحو قوله تعالى:

{**يخافون ربهم من فوقهم**} أي الملائكة وتؤول بالعلو.

{**وهو القاهر فوق عباده**} تؤول الفوقية بالقهر والتعالي.

{**الرحمن على العرش استوى** } تؤول استوى برحمانيته على

العرش أو بالاستيلاء ، كما تقدم.

{**أأمنتم من في السماء**} تؤول بالملائكة.

قال تعالى : { **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**}.

قال أهل التأويل: القرب قرب الرحمة .

ثانيا: مايوهم الصورة:

قال النبي ﷺ فيما يرويه الشيخان :(**أن رجلاً ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته**) وفي رواية (**إن الله خلق آدم على صورة الرحمن**) .

فإما أن نقول : صورة لا نعلمها . وهذا مذهب التفويض والتسليم

وإما أن نقول : المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر و علم وحياة، فكما أن لله تعالى سمعاً وبصراً فللعبد سمع وبصر، وكما أن لله تعالى علماً فإن للعبد علماً وهكذا.....

فنقول خلق آدم على صورته أي على صفته ﷻ . ولكن يجب أن نعلم أن صفته تعالى قديمة وصفة العبد حادثة أو مخلوقة .

ثالثا: مايوهم الجسمية:

قال تعالى:{ **وجاء ربك** }.

قال أهل التأويل جاء أمره وتدبيره.

قال ﷺ : (**ينزل الله كل ليلة**) الحديث .

قال أهل التأويل : النزول : نزول أمره ﷻ .

قال تعالى : { **وهو معكم أينما كنتم** } .

قال أهل التأويل : المعية : معية العلم أو معية الحفظ [1] .

رابعا: مايوهم الجوارح:

قال تعالى : { **يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**}.وقال ﷺ : (**والذي نفسي بيده**).

قال أهل التأويل : اليد تؤول بالقدرة . واليدان تؤولان بالقدرة والإرادة. {**والسماء بنيناها بأيد**} تؤول بالقدرة والإرادة والعلم.

قال تعالى {**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**}.

قال أهل التأويل : الوجه يؤول بالذات .

قال تعالى لسيدنا موسى : { **ولتصنع على عيني** }.

{**واصنع الفلك بأعيننا**}. قال أهل التأويل : أي بحفظنا وتربيتنا ورعايتنا .

قال تعالى : { **والسموات مطويات بيمينه** } وقال:{**لأخذنا منه باليمين** }.

قال أهل التأويل : اليمين تؤول بالقوة .

قال ﷺ : (**إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أُصبعين من أصابع الرحمن**).

قال أهل التأويل : تؤول اليد بالقدرة ، والأصابع بالصفات . فمعنى قوله

---

[1] حدثنا امام أهل السنة والجماعة شيخنا ومرشدنا الى الله الشيخ عبد الرحمن الشاغوري حفظه الله أن المعية إن أولها المؤولون بالعلم وسكتنا سكتنا معهم، وإن قالوا بعلمه تعالى لا بذاته قلنا بل بذاته وبعلمه، لأن الصفة لاتنفك عن الموصوف.

(بين أصبعين) أي بين صفتين من صفات الله تعالى وهما القدرة والإرادة.

ويؤول قوله تعالى **{يوم يكشف عن ساق}** أي رفع الحجاب ، هذا هو التأويل ، والسلف يفوضون وفي الحديث: (ينادى إذا كان يوم القيامة: لتلزم كل أمة معبودها ، فتقول هذه الأمة هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيظهر له (أي على الوجه الذي لا يعرفونه بأن يُدخِل عليهم غلطاً في كشفهم وإلا فهو تعالى منزه عن أن يتصف بما لا يليق به) فيقول: أنا ربكم . فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا. فيتجلى لهم تجلي لائقاً بحال المقام ويكشف عن الساق ، (عند الخلف بمعنى رفع الحجاب) ويقول: أنا ربكم. فيراه المؤمنون كما يعلمون، أي على وفق ما يعتقدون ، فيخرون سجداً إلا المنافق).(أنظر شرح البخاري). أو نقول في تأويل الساق: اشتداد الهول وعظم الأمر، وهذا التعبير معروف عند العرب ، فمن خطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

قد كشفت عن ساقها فَشُدُّوا وجَدَّتْ الحرب بكم فجِدُّوا

فالمراد بالساق شدة الحرب وهول الموقف .

ومن تأويلات الساق : أزوف النار مشمرة عن ساقها لأخذ أولي الشرك فتبلغ من خوفهم قلوبُهم الحناجر قال تعالى { **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين** } .

ومن تأويلات الساق : إمداد أصحاب اليمين بالنور على قدر أعمالهم يؤهلهم لمعرفة الله تعالى رحمة بهم فيشمرون السوق أي يتأهبون لاستقبال الفحص الآتي وهو مطالعة الصحف أو كشف المؤمنين عن سوقهم تهيئة لجوازهم على الصراط [1]

---

[1] انظر كتاب المنح الفاخرة في معالم الآخرة للشيخ شاكر الحمصي الجزء الثاني صفحة 1486 .

{**والسماء بنيناها بأيد**} تؤول بالقدرة والارادة والعلم.

والعمدة فيما تقدم في مسائل التأويل سببه قوله تعالى : { **ليس كمثله شيء** } وهذه الآية قاطعة في منع المشابهة والمماثلة في شيء من الأشياء ومعناها : ليس كذاته وكصفته وكفعله شيء .

وحينئذ يجب الجمع بين هذه الآية { **ليس كمثله شيء** } وبين النصوص التي في معناها حدوث وتغير كالغضب والعجب والمحبة والضحك والرحمة، وهذا هو القسم الخامس:

خامسا: مايوهم الحدوث

فيؤول كل لفظ من هذه الألفاظ بعاقبته ومآله .

فعاقبة الغضب الانتقام ،وعاقبة العجب الرضى ، وعاقبة المحبة الإثابة، وعاقبة الضحك الرضى وعاقبة الرحمة الإحسان .

لما تقدم يتبين لنا أن الحاجة للتأويل كانت لإصلاح الحال ودفع الشبهات عمن لا يقدر على التعليم ودفعاً للفتنة والشك لأن أهل الزيغ والشرك كانوا يتتبعون المتشابه من القرآن بقصد إيقاع الناس بالفتنة ولهذا ذمهم مولانا في القرآن وقال : { **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله** } وأما أهل السُّنّة والجماعة فإنهم أوّلوا تلك الألفاظ لدفع الفتنة عن الناس وتصحيح العقائد التي أفسدها أهل الزيغ { **والله يعلم المفسد من المصلح** } وفي السنة (**إنما الأعمال**

بالنيات)

ورُب قائل يقول : فما الذي أدرانا أن التأويل جائز في آيات الصفات ؟.

فإننا نقول : إن التأويل جاء في أحاديث عدة ، منه الحديث الصحيح الذي كاد أن يبلغ حد التواتر وهو قوﷺ مرفوعاً إلى ربهﷻ (**عبدي مـــرضتُ فلم تعدني قال : يا رب كيف أعـــودك وأنت رب العالمين** (وإليك التأويل) **قال مرض عبدي فلان فلم تعده أما إنك لو عُدتَه لوجدتني عنده.**(أي لوجدت ثوابي) **عبدي استطعمتك فلم تُطعمني قال: يارب كيف أُطعمك وأنت رب العالمين**(والتأويل هنا) **قال : استطعمك عبدي فلان فلم تطعمُه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي**) .

وقد ورد التأويل عن بعض الصحابة أيضاً حين سأله رجل عن قوله تعالى:{**نسوا الله فنسيهم** }،مع قوله تعالى{ **وما كان ربك نسيا**} فقـــال ابـــن عباس رضي الله عنه « إن قوله {**فنسيهم** } أي يتركهم في العذاب الأليم » .

ومع ذلك نقول : إن الذين جوّزوا التأويل كانوا لا يجزمون أن تأويلهم هذا هو مراد الله تعالى، وإنما هو تقريب للفهم، ودفع للفتنة، ورد على أهل الزيغ والمجسمة .

قال صاحب الجوهرة:

وكلُّ نصٍ أَوْهَمَ التشبيهـــا أَوِّلْهُ أو فَوّضْ وَرُمْ تَنزيهـــا

ومما يجب اعتقاده أن كلام الله تعالى قديم ، وقد مرّت هذه الصفة في الحديث عن صفات المعاني ، وهنا نؤكد على أن القرآن قديم لأنه كلام الله تعالى فقالوا : «القرآن كلام الله المكتوب لفظه في المصاحف، والمحفوظ في صدور الأمة ، المقروء بالألسن معناه ، وهو الكلام النفسي القديم ، وأما ألفاظه وحروفه وأصواته وما يتبعها من الكيفيات فهي حادثة مخلوقة .

وكذلك نقول عن الكتب المنزلة من السماء والحديث القدسي والصحف الربانية فكل ذلك كلام الله تعالى :

اللفظ حادث والمعنى قديم ، ولهذا نص الإمام أبو حنيفة النعمانرضي الله عنه على قاعدة توحيدية هامة فقال : **ما قام بالمخلوق مخلوق، وما قام بالخالق قديم** .

فإذا كان كلامنا له حروف وأصوات فكلام الله ليس بحروف وأصوات وإنما هذه الحروف والأصوات التي نقرؤها في القرآن تدل على الصفة الكلامية القديمة لمولانا عز وجل فإذا ســـمعنا قوله تعالى {**ولا تقربوا الزنى** } فهمنا منه النهي عن قربان الزنا ، ولو أزيل عنا الحجاب ، كما أزيل عن الكليم سيدنا موسى وسيدنا محمد ﷺ لفهمنا من الصفة القديمة هذا المعنى فمدلول الكلام اللفظي هو مدلول الكلام النفسي ، والله عز وجل أعلم.

قال صاحب الجوهرة :

ونــزّه الــقــرآنَ أي كلامَــه عن الحدوثِ واحذرِ انتقامــَه
وكلُّ نصٍ للحـــــــدوثِ دَلاَّ احملْ على اللفظِ الذي قد دَلاَّ

الباب الرابع
باب النبوات

الإيمان بالأنبياء والرسل :

إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام جائز - كما تقدم - والإيمان بهم واجب

قال صاحب الجوهرة :

ومنه إرســالُ جميعِ الرُّسْلِ فلا وجــوبَ بــلْ بمحْضِ الفَضْلِ
لكنْ بِذَا إيمانُــنَا قَدْ وَجَبا فَــدَعْ هَــوَى قــومٍ بهِمْ قَــدْ لَعِبَا

وهذه العقيدة مستمدة من قولنا بعد الشهادة : **«أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله»** . ففيها إثبات الرسالة لنبينا ﷺ ويلزم تصديقه

بكل ما جاء به ويدخل فيه التصديق بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومما يجب أن يُعلم أنه يجب في حقهم أربعة أمور ويستحيل عليهم ضدها وهي : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة. فيستحيل عليهم الكذب والخيانة والكتمان والغفلة أو البلادة .

قال صاحب الجوهرة:

وواجبٌ في حقهمْ الاَمــانه وصدقُهمْ وضِفْ له الفَطانــهْ

ومثلُ ذا تبليغُهُم لمــا أتَــوا ويستحيلُ ضدُّها كمــا رَوَوْا

1. الواجبات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام :

1- الصدق : في دعوة الرسالة وفيما يبلغونه عن الله تعالى وفي الكلام المتعلق بأمور الدنيا كقام زيد وقعد عمر .

فهم صادقون في جميع ذلك ولو في حال المزاح مع غيرهم لما في الحديث: « **أمزح ولا أقول إلا حقاً** » .(ت ــ حسن صحيح)

الدليل : لأنهم لــو لم يصدقوا لكذبوا ولــو كذبــوا لكان خبــر الله تعالى كــذبــاً إذ أنه ﷻ أيّدهم بالمعجزات ومعنى المعجزة تصديــق الــرسول فــيمــا يبلغ عــن الله فــهــو خبر في المعنى ، وكون خبره تعالى كذباً محال .

2- الأمانة : وهي حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة عن التلبس بكفر قبل النبوة أو بعدها وعن فعل الكبائر والصغائر قبل الوحي وبعده

وهذا ما يسمى بالعصمة ، فالأنبياء والرسل معصومون عن فعل ما يشين حتى لو كان خلاف الأولى [1] .

لذلك كل ما ورد في الكتاب والسنة مما يوهم نقصاً في حقهم أو في حق الملائكة فيجب تأويله وصرفه عن ظاهره ،فمثلاً خرق السفينة وقتل الغلام من سيدنا الخضر هو بحسب الظاهر حرام ولكن بحسب الحقيقة حكم بأمر الله ألم يقل مولانا عن سيدنا الخضر قوله **} وما فعلته عن أمري**}.

---

[1] فلان الأولى هو : درجة أولى من المكروه تنزيهاً ، وهو ما كان تركه أفضل من فعله .

الدليل : إنهم لو لم يكونوا أمناء لخانوا بفعل منهي عنه ،ولو خانوا بفعل ذلك لكنا مأمورين بالخيانة لأنهم قدوتنا ، وكوننا مأمورين بالخيانة باطل قال تعالى: { **ولو تَقَوَّل علينا بعضَ الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** } والوتين هو النخاع الذي إذا قطع هلك صاحبه.

3ـــ الفطانة : أي الذكاء والتيقظ للأمور بحيث تكون فيهم القدرة على إلزام الخصوم وإبطال دعاويهم وهي ناشئة عن رجاحة العقل، ومعلوم أن من لم يكن فطناً لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة مع خصوم الشريعة ،وقد قال مولانا عن قوم نوح : { **يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** } . وقال لسيدنا ونبينا محمد ﷺ : {**وجادلهم بالتي هي أحسن** } وقال عن سيدنا إبراهيم : {**وتلك**

حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } .

الدليل : أنه لو لم يكن لديهم فطانة لكانوا بلداء ، ولو كانوا بلداء لما قدروا على أن يقيموا الحجة القاطعة على الخصم ، وكـــونهم بلداء (لا يقدرون على إقامة الحجة) محال ، لأن القرآن كما تقدم دل على فطانتهم بإقامتهم الحجة .

4ـــــ التبليغ : أي تبليغ ما أرسلوا لأجل تبليغه بكل أنواعه : سواء في العقيدة أو في الشريعة أو غير ذلك كالإخبار عن الأقوام الماضية قال تعالى : **{ يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك}** .

فلا يترك الرسول شيئاً من غير بلاغ وإن لم يكن أحكاماً .

الدليل : إنهم لو لم يبلغوها لكانوا كاتمين للعلم ،ولو كتموها لكنا مأمورين بكتمان العلم لأنهم قدوتنا، وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل ،لأن كاتم العلم ملعون قال تعالى **{ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون}**. وقال عليه الصلاة والسلام « **من كتم علماً مما ينفع الناس في أمر دينهم ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة** » .

2. المستحيلات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام :

1- الكذب : وهو عدم مطابقة خبرهم للواقع ،لذا يؤول في حقهـــم كل مـــا ظاهره الكذب، فقد ورد في الحديث: « أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، الأولى: في حق الأصنام عند قوله (من فعل هذا بآلهتنا) فإن كلامه مخرّج مخرج التشنيع والتقريع [1] حيث قال : (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) . والثانية عندما قال للنمروذ عن زوجته بأنها أخته، والمقصود أخته في الإسلام، والثالثة قوله عندما نظر في النجوم فقال:(إني سقيم) أي سقيم مما كان يعبد قومه من الأصنام وهكذا كل ما ورد في حق الأنبياء . يؤول كلٌ بحسب القاعدة التوحيدية حسنات الأبرار سيئات المقربين.

2- الخيانة : بقول أو فعل أو شيء منهي عنه قبل النبوة وبعدها، وكل ما ورد مما يدل وقوع ذلك من الأنبياء فمؤول كقوله تعالى {**ووضعنا عنك وزرك** } وقوله { **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** }.

فالمراد بالذنب على فرض وقوعه بحيث لو وقع لكان مغفوراً، والمراد بالوزر أثقال الوحي فإنه كان يثقل عليه أولاً ثم وضعه عنه سبحانه .

3- البلادة : أو الغفلة فهي مستحيلة عليهم لأنهم أُرسلوا لإقامة الحجج وإبطال جدل المتجادلين ، والغافل أو البليد أو الأبله لا يستطيع

---

[1] انظر كتابنا نفحات منيرة في القضايا الإيمانية ففيه التخريجات الكثيرة .

ذلك .

4- الكتمان : لأي أمر أُمروا بتبليغه للخلق، ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتمه سيدنا رســـول الله ﷺ الذي قال فيه رب العزة { **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** } وقوله {**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**} وقوله { **عفا الله عنك لم أذنت لهم**}، فلو كتم شيئاً لكتم هذه الآيات لكنه لم يفعل ﷺ .

3- الجائزات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام :

النبي والرسول كل واحد منهما بشر، حر، ذكر، سليم عن منفر طبعاً كعمى وبرص وجزام وجنون، فلم يعم نبيٌ قط، و لم يثبت أن شعيباً كان ضريراً، وما كان بيعقوب فهو حجاب على العين من تواصل الدموع، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيراً، وما كان بأيوب من البلاء فكان بين الجلد والعظم فلم يكن منفراً، وما اشتهر في القصة من الحكايات المنفرة فهي باطلة.

والرسول يرسله الله تعالى من أهل المدن والقرى يوحي إليه بشرع يُعمل به ويبلغه كما مر في التبليغ يؤيده مولانا ﷻ بالمعجزة تكرماً منه ودليلاً على صدق دعواه لكي لا يختلط الحق بالباطل .

والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مُنَزّلَةٌ مَنْزِلَة قول الله تعالى « **صدق عبدي فيما يبلغ عني** » . قال صاحب الجوهرة:

بالمعجزات أُيدوا تكرُّمَا وعِصْمَةَ الباري لكلٍ حَتِّمَا

ولذلك يجوز في حقهم كل ما لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالأكل،والشرب ،والمرض غير المنفر ونحو ذلك .... كالمشي والركوب ،والبيع والشراء ،وتزوج النساء ،والنوم بالعين لا بالقلب والابتلاء بالمحن كما وقع له ﷺ من الجوع وأذى قومه وخدش جبينه وانكسار سنه ، وأما النسيانُ فممتنع في حقهم في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت كـــ{الجنة أعدت للمتقين}، أو فعلية كصلاة الضحى إذ أمرهم بفعلها ليقتدى به فيها، فلا يجوز نسيان كل منهما قبل تبليغه. وأما بعد التبليغ فيجوز النسيان مع اعتقاد انه من الله تعالى لا من الشيطان. لأنه لا تسلط عليهم ، ففي الحديث (إنما أنسى لأسن) فهو نسيان رحماني وفي الحديث أيضاً (ق) (إنما أنا بشر أنسى كم تنسون فإذا نسيت فذكروني). ولهذا قال صاحب الجوهرة:

وجائز في حقّهمْ كالأكل وكالجماع للنِّسَا في الحلِّ

الدليل : على ذلك مشاهدة وقوعه بهم لمن عاصرهم وبلوغ ذلك لنا بالأحاديث الصحيحـــة ،فلو لم يكن جائزاً في حقهم لما وقع بهم، فوقوعـــه بهم أقـــوى دلـــيـــل عـــلـــى جوازه لأن الوقوع فرع عن الجواز .

وجميع ما تقدم في حق الرسل يأتي في حق الأنبياء إلا التبليغ فإنه خاص بالرسل فلا يبلغ النبي إلا شيئاً واحداً : أنه نبي يحترم .

ونؤمن بجميع الأنبياء والرسل « والأصح عدم حصر عددهم »

ولكن نؤمن عيناً بما ورد في القرآن الكريم على أنهم رسل الله ﷻ وهم سيدنا:

1 -آدم 2- إدريس 3- نوح 4- صالح 5- هود 6- إبـــراهـــيم. 7 – لـــوط. 8 - إسماعيل. 9 - إسحاق. 10 - يـــعقـــوب. 11 - يـــوسف. 12- يونس. 13- شعيب. 14- موسى. 15- هارون. 16- داود. 17- سليمان. 18- إليـــــاس. 19- اليســـع. 20- أيوب. 21- ذو الكفل (بشر). 22- زكريا. 23- يحيى. 24- عيسى. 25- سيدنا محمد ﷺ .

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وأما سيدنا الخضر وعُزير وذو القرنين فمختلف في نبوتهم لكن الراجح أن سيدنا الخضر نبي عليه الصلاة والسلام ، وهو حيٌّ على المعتمد عند الموحدين .

وأفضل الخلائق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ ثم بقية أولي العزم من الرسل سيدنا إبراهيم فموسى فعيسى فنوح فبقية الرسل والأنبياء. قال صاحب الجوهرة:

وأفضلُ الخلقِ على الإطـــلاقِ نبيُّنـــَا فَمِلْ عَـــنِ الشِّـــــقَاقِ

والأنبيـــــا يلونه فـــي الفضل وبعدهم ملائكةْ ذي الفضـــل

هـــذا وقوم فصلوا إذْ فضـــلوا وبعضُ كل بعضَه قـــد يفضل

ومما يجب الإيمان به أنه نزل على سيدنا آدم عشر صحائف وعلى سيدنا شيث خمسون صحيفة وعلى سيدنا إدريس ثلاثون صحيفة وعلى سيدنا إبراهيم عشر صحائف وعلى سيدنا موسى التوراة وعلى سيدنا عيسى الإنجيل وعلى سيدنا داود الزبور وعلى سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم [1] .

ورسالة نبينا ﷺ عامة لجميع الناس أنبياء وغيرهم، والأنبياء نوابه وخلفاؤه قال تعالى : { **وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيينَ لَمَا آتيتُكمْ مِنْ كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لِمَا معكم لتؤمنُنَّ به ولتَنصُرُنَّه** } .وهو سيدنا محمد ﷺ وهو أول النبيين حقيقة وآخرهم صورة . قال صاحب الجوهرة:

وخُصَّ خَيْرُ الخَلْقِ أنْ قدْ تَمَّمَا بـــــهِ الجميـــعَ ربّـــُنَا وعَمَّمَا
بعثَتُهُ فشـــرعُهُ لا يُنْســـــخُ بغيـــره حـــتى الـــزَّمانُ يُنْسَخُ
ونسخُهُ لشرعِ غَيْـــرِه وَقَـــعْ حَتْمَاً أذلَّ اللهُ مـــَنْ له مَنَـــعْ

سيدنا محمد ﷺ :

أ – نسبه من جهة أبيه ومن جهة أمه: هو : سيدنا محمد بنُ عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشمٍ بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مضر بن نزارٍ بن معدٍّ بن عدنان.

---

[1] انظر كتابنا مراقي العبودية في توحيد رب البرية وكتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية ففيهما الحديث مفصلاً عن الكتب السماوية .

وليس فيما بعده إلى سيدنا آدم طريق صحيح .

وأما نسبه إلى جهة والدته السيدة آمنة فهو : سيدنا محمدٌ بنِ آمنةَ بنتِ وهْب بنِ عبد مناف بنِ زُهْرة بنِ كلاب وهو الجد الخامس للنبي من جهة أبيه .

ب ــ وآباؤه ﷺ **ناجون يوم القيامة محكوم بإيمانهم لأنهم من أهل الفترة** (وهم من كانوا بين سيدنا اسماعيل وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام). وذلك بالنسبة للعرب، قال تعالى { **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**}.

ويجب اعتقاد أنه ﷺ ولد بمكة المكرمة قبيل فجر الاثنين ، 12 ربيع الأول أو في اليوم السابع منه ، توفي والده وأمه حامل به.

وأمهاته من الرضاع من بعد أمه ثمان ، أكثرهن له ملازمة السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها ، وبعد الرضاع رُد إلى أمه التي توفيت فكفله جده ، ثم كفله أبو طالب بعد وفاة جده وله ثماني سنوات ، فعمل معه بالتجارة ثم مع السيدة خديجة بنت خويلد التي تزوجها وهو في سن الخامسة والعشرين.

وساعد في بناء الكعبة المشرفة وشارك في حرب الأشهر الحرم (الفِجَار) وفي حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان (ألا يجدوا في مكة مظلوماُ إلا ونصروه).

جـــ — زوجاته صلى الله عليه وسلم

الأولـــــى : السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

الثانيـــــة : الســـيدة عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنها ، ومن اتهمها بما نسب إليها فقد كفر لأن الله تعالى برّأها من عليائه. قال الناظم : « وبرئن لعائشة مما رموا » .

الثالثـــــة : السيدةُ حفصةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنها.

الرابعـــــة : السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

الخامســـة : السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها

السادســـة : السيدة سودُة بنتُ زَمْعَةَ رضي الله عنها .

السابعـــة : السيدة زينبُ بنتُ جحش رضي الله عنها

الثامنـــــة : السيدة ميمونةُ بنتُ الحارث رضي الله عنها

التاسعـــة : السيدة زينبُ بنتُ خزيمة أم المساكين رضي الله عنها.

الـــعاشرة : السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

الحادية عشر : السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها [1]

د ــ أولاده ﷺ :وهم سبعة :

1ً- سيدنا القاسم . 2ً- ســـيدتنا زينب . 3ً- ســـيدتنا رقية . 4ً-

---

[1] انظر كتابنا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

سيدتنا فاطمة الزهراء. 5- سيدتنا أم كلثوم. 6- سيدنا عبد الله الطيب والطاهر. 7- سيدنا إبراهيم . رضي الله عنهم جميعاً.

◆ جواريه ﷺ :

الأولى : السيدة مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم رضي الله عنه .

الثانيةُ : السيدةُ ريحانةُ القرظية .

الثالثة : السيدةُ نُفَيْسَة .

الرابعة : السيدةُ زليخة القرظية .

ويجب اعتقاد أن سيدنا رسول الله ﷺ قد نبأه الله تعالى على رأس الأربعين ، وأيده بالمعجزات الباهرات : كانشقاق القمر وتسليم الشجر والحجر ، والإسراء والمعراج بشخصه جسداً وروحاً إلى بيت المقدس ثم إلى فوق السماء السابعة ، وأعظم معجزة له ﷺ القرآن الكريم . وسيمر قول صاحب الجوهرة بإذن الله تعالى :

ومعجزاتُه كثيرةٌ غُرَرْ منها:كلامُ الله معجزُ البشرْ

هـ ـ عموم بعثته ﷺ : لكافة الخلق قاطبة إلى يوم القيامة من الثقلين إرسال وتكليف ، وأما الملائكة فالراجح أن أرسل إليهم إرسال تشريفٍ قال تعالى { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** } وكذلك شرعه ﷺ لا ينسخ ولا يُزال بغيره ولهذا قال ﷺ : « **أنا العاقب** » أي لا نبي بعده ، وبشرعه يحكم سيدنا عيسى عند نزوله آخر الزمان ،

ولهذا أجمع علماء الشريعة أن شرعه ﷺ نسخ جميع الشرائع قبله قال تعالى { **إن الدين عند الله الإسلام** } ، وقال في السورة نفسها { **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** } وقال ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » (مسلم) قال صاحب الجوهرة:

بِعْثَتَهُ فَشَرْعُــهُ لا يُنْسَخُ بغيرِهِ حتَّى الــزمــانُ يُنســخُ

ونسخه لشرع غيره وقع حتمــاً أذل الله مــن له منــع

والنسخ رفع الحُكْم الشرعي بدليل شرعي آخر .

ومن النسخ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ، تحريم الخمر بعد إباحته المشروطة ، ونسخ عدة المرأة المتوفى عنها زوجها من سنة إلى أربعة أشهر وعشر.

والنسخ مختص بالأوامر والنواهي فلا يجوز في الأخبار ولا في العقائد وليس في تجــويز النســخ من نقص له يقتضي امتناعه . قال تعــالى **} ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير{**

وصــور النســخ متعددة فقد ينسخ القرآن بالقرآن كمــا هي في عدة المتوفى عنهــا زوجها { **والذين يتوفون منكم ويذرون**

أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج }.
نُسخت بقوله تعالى { **والذين يتوفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهنَّ أربعة أشهر وعشرا**} قال صاحب الجوهرة:

ونسخَ بعضِ شَرْعِهِ بالبَعْضِ أَجِزْ وما في ذَا لَهُ مِنْ غَضِّ

وقد تنسخ السنة القرآن كما هو عند الجمهور بنسخ آية الوصية بالحديث قال تعالى { **كتب عليكم إذا حضر أحدَكم الموتُ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين** } فقد نُسخت بقوله ﷺ « **لا وصية لوارث** » . وقد تُنسخ السنة بالكتاب فقد ثبت استقبال بيت المقدس بالسنة ثم نسخ بقوله تعالى { **فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره** } .

وقد تنسخ السنة بالسنة ، فقد وقع النهي عن زيارة القبور أول الأمر ثم نسخ بقولهﷺ « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» (ت حسن صحيح) وفي الحديث «من أكل لحم جزور فليتوضأ» فهو منسوخ بحديث : «كان آخر الأمرين من فعل رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار» .

وقد تنسخ التلاوة والحكم معاً كما كان تحريم الرضاع بعشر رضعات فنسخ بخمس .

وقد تنسخ التلاوة دون الحكم كما في آية الرجم المنسوخ تلاوتها ، «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم » .

وقد ينسخ الحكم دون التلاوة كقوله تعالى { **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا** } نسخ الحكم وبقيت التلاوة [1] .

ويجمع باب الألوهيات والنبوات شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله ولذا كان من شهدها بلسانه معتقداً بها في قلبه دخل الجنة يقول ﷺ :

[1] فقد كان من ذهب من المسلمات مرتداً إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار : هاتوا مهرها ، ويقال للمسلمين إذا جاءت من الكافرات مسلمة مهاجرة : ردوا إلى الكفار مهرها ، ثم نسخ ذلك الأمر ، فمن ارتدت لا تقرّ ، ومن جاءتنا مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهراً ، وكان عدد المرتدات / 6/ نسوة فأعطى رسول الله أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة .

« **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله جسده على النار** » (رواه مسلم) . ولذلك كانت الجامعة لكل العقائد المتقدمة فالجهة الأولى :

نفت الألوهية عن غيره تعالى وأثبتتها له ، ويلزم منها استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فالمعنى الحقيقي لـ { **لا إله إلا الله** } لا معبود بحق إلا الله ، ومعنى الاستغناء عن كل ما سواه يستلزم 1 ــ الوجودَ ، 2 ــ القدمَ ، 3 ــ البقاءَ ، 4 ــ المخالفة للحوادث . 5 ــ القيام بالنفس ، والتنزه عن النقائص ويدخل في تنزيهه سبحانه عن النقائص 6 ــ السمعُ ، 7 ــ البصر

8 ــ الكــلام ولوازمــها وهــي كونه تعــالى .9 ــ ســميعاً .
10 ــ بصيراً . 11 ــ متكلماً إذ لو لم تجب له هذه الصفاتُ لكان محتاجاً إلى المحدث أو المحل أو إلى من يدفع عنه النقائص .
22 ــ وإذا وجبت هذه الصفات استحالت أضدادُها (وهي إحدى عشرة) .
23 ــ ويستلزم الغنى أيضاً نفي وجوب فعل شيء من الممكنات أو تركِهِ .
وأما افتقار كلِّ ما عداه إليه سبحانه فيستلزمُ : 24 ــ الحياة .
25 ــ القدرةَ . 26 ــ الإرادة . 27 ــ العلم ولوازمَها وهي كونه
28 ــــ حياً 29 ــ قادراً 30 ــ مريداً 31 ــ عالماً ويستلزم أيضاً
32 ــ الوحدانية ، 41 ــ ومتى وجبت هذه الصفات استحالت أضدادُها (وهي تسع مستحيلات) .

وقد اشتملت الجملة الثانية { **محمد رسول الله** } على الإقرار برسالته ﷺ ، ويلزم منه تصديقُه بكل ما جاء به ويندرج به وجوبُ صدقِ الرسل وأمانتهِم وفطانتِهِم وتبليغِهِم لما أُمروا بتبليغه للخلق ويندرج فيه استحالةُ الكذِب والخيانةِ والغفلةِ والكِتْمان عليهم ، كما يندرج فيه جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، ولهذا قال صاحب الجوهرة :

وجامعٌ معنى الذي تَقَرَّرا شهادتا الإسلام فاطرحِ المِرَا

و ــ فضائل الصحابة :

ويلي خواص الملائكة عوامُ البشر في الفضل وهم الصحابة المؤمنون المتقون الذين اجتمعوا بالنبي وإن لم يرووا الأحاديث أو لم يبلغوا سن

التمييز (السابعة من عمرهم) وماتوا على الإسلام وخير الصحابة: سيدنا أبو بكر الصديق ثم سيدنا عمر ثم سيدنا عثمان ثم سيدنا علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم 5 ــ أبو عبيدة عامر بن الجراح. 6 ــ الزبير بن العوام. 7 ــ طلحةُ بنُ عبيد الله. 8 ــ سعيد بن زيد . 9 ــ سعد بن أبي وقاص. 10 ــ عبد الرحمن بن عوف.[1]

ثم يليهم في الفضل أهل بدر ثم أهل أُحد فأهل بيعة الرضوان فالسابقون إلى الإسلام (وهم الذين صلّوا إلى القبلتين) فمن بعدهم من مشيخة الفتح ثم بقية الصحابة فالتابعون فتابع التابعين وهم أفضل

---

(1) انظر تراجمهم في كتاب قضايا إيمانية الجزء الثالث

القرون المتقدمة والمتأخرة بعد قرن سيدنا النبي ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » (متفق عليه) قال تعالى **}لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير{** وسادة التابعين سعيد ابن المسيب والحسن البصري وأويس القرني وأفضل التابعيات حفصة بنت سيرين . رضي الله عنهم ، قال صاحب الجوهرة:

وصحُبه خيرُ القرونِ فاسْتَمِعْ فتابعيْ فتابــعٌ لَمَــنْ تَــبِــعْ
وخيرُهُم مــَنْ وَلِــيَ الخَلافَهْ وأمرُهُمْ فــي الفضلِ كالخِلافهْ
يليهمُ قومٌ كــرامٌ بــــــرَرَهْ عِدَّتُهُمْ سِــتٌّ تَمامُ العَشَــرهْ
فــأهــلُ بــدرٍ العظيمِ الشأْنِ فأهْلُ أُحْــدٍ بَيعــةِ الرِّضْوانِ
والسابقون فضلهم نَصَّاً عُرِفْ هــذا وفي تعيينهِمْ قد اخْتُلِفْ

ويجب الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير لقولﷺ « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» ولقولﷺ « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم أو نصيفه** (ق) . قال صاحب الجوهرة:

وَأَوِّلِ التَّشَاجُرَ الّــذي وَرَدْ إنْ خُضْتَ فيهِ واجْتَنِبْ داءَ الحسدْ

وليست النبوة مكتسبة ولا تؤتى بكثرة الاجتهاد في العبادة ولا بطول مجاهدة النفس بل هي اصطفاء واجتباء من الله تعالى لعباده قال تعالى : {**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** } وقال أيضاً { **ممن هدينا واجتبينا**}. قال صاحب الجوهرة:

ولم تكنْ نُبُــوَّةٌ مُكْتَسَبَــهْ ولو رَقَــى في الخيرِ أعلى عَقَبَهْ
بَلْ ذاكَ فضلُ اللهِ يُؤتِيْهِ لمــنْ يشاءُ جــلَّ اللهِ واهبُ المنــنْ

وكرامة الولي ثابتة بالنص القرآني كما حدث لوزير سليمان حينما جاء بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في مِثْلِ ارتداد الطرف ،لكن لا يبلغ ولي درجة نبي ، لأن النبي معصوم آَمِنٌ مِنْ خوف سوء الخاتمة مكرم بالوحي ومشاهدة المَلَك مأمور بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام ، أما الأولياء فهم محفوظون أي قد يذنبون لكنهم يتوبون من قريب ومن

هؤلاء الأولياء : الأبدال الذين ذكرهم النبي الكريم في الحديث « **كلما مات واحد منهم أبدل مكانه** » وهم في الشام (حديث حسن). قال صاحب الجوهرة:

وأَثْبِتَــنْ للأَولِيــَا الكرامــهْ ومنْ نفاهَا فَانْبِذَنْ كلامَــهْ

ز ــ حكم تقليد المذاهب الأربعة:

أجمع أهل العلم أنه يجب تقليد أحد المذاهب الأربعة في الفروع الفقهية ، ونقل هذا الإجماع المحدّثُ ابنُ الصَّلاح فقال « أجمعَ أهل العلم أنه لا يجوز تقليد إلا أحد المذاهب الأربعة الفقهية لأنها وردت عليها أنظار آلاف الفقهاء من كل مذهب وتحررت مذاهبهم فرعاً فرعاً وبينت أقوالها وعرفت الأقوال المفتى بها من الأقوال الضعيفة » وقد نص الأئمة فقالوا: « إن حكم الله في كل مسألة هو ماأدى إليه اجتهاد المجتهد».ولهذا قال صاحب الجوهرة:

ومالــــكٌ وســــائِرُ الأئمهْ كذا أبــو القَاسِمْ هُداةُ الأمَّــهْ

فواجــــبٌ تقليدُ حَبْرٍ منهمُ كذا حَكَى القــومُ بلفظٍ يُفْهَمُ

*** تراجمهم :**

الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المالكي وسيد علماء أهل المدينة ولد سنة 93 هــ وشهد له سبعون شيخاً من أهل العلم بإمامته ، توفي سنة 179هــ .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق ولد سنة

80 هـ وأدرك جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وأخذ عن أربعة آلاف شيخ ، وأشهر شيوخه الإمام حماد بن سليمان ، انتهت إليه رياسة العلم في الكوفة توفي سنة (150هـ) .

سيدي الإمام محمد بن إدريس الشافعي ولد بغزة سنة 150 هـ حفظ القرآن وعمره أقل من عشر سنين واتجه إلى تعلم العربية وحفظ الحديث ولزم فقيه الحرم المكي مسلماً بن خالد وتخرج به ، ولزم محدّث مكة سفيان بن عُيينة ثم رحل إلى الإمام مالك فأخذ عنه العلم ، ورحل إلى العراق فأخذ عن محمد بن الحسن علم الإمام الأعظم وأملى بالعراق مذهبه القديم ،ثم هاجر إلى مصر فأملى مذهبه الجديد المفتى به[1] وتوفي سنة 204 هـ .

الإمام أحمد بن حنبل المحدث الفقيه ولد سنة 164هـ وأخذ علم الحديث عن علماء عصره وطلبه ورحل إليه كما أخذ عن الإمام الشافعي علماً غزيراً وأصبح إمام أهل العراق بعد الإمام الأعظم توفي سنة 241 هـ [2] .

الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز البغدادي ولد بالعراق وتفقه على مذهب أبي ثور وصحب الطبقة العليا من الطائفة الصوفية وبويع على مشيختها فصار إمام أهل الشريعة والحقيقة قال أحد

---

[1] إلا في ثماني عشرة مسألة من المذهب القديم ، انظر ترشيح المستفيدين ص8

[2] انظر كتابنا نفحات منيرة في سيرة أئمة المذاهب الفقهية

معاصريه : ما رأت عيناي مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، قال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه . من كلامه : «طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث و لم يتفقه لا يقتدى به» . له مجموعة رسائل [1] .

وتوفي سنة 297 هـــ وقد ذكره الإمام اللقاني لأن المسلم بحاجة إلى الأخلاق والتصوف ومتابعة أئمته الثقات لتزكية النفس ورفعها إلى مقام المراقبة والمشاهدة في مقام الإحسان .

هؤلاء هم هداة الأمة ﷺ الواجب تقليد واحد منهم لكلِّ مَنْ لم يملك أهلية الاجتهاد المطلق .

وقال ناظم التوحيد :

وجائزٌ تقليدُ غيرِ الأربعهْ منْ غيرِ إفتاءٍ وفي هذاَ سَعَهْ

فإذا سألنا سائل أو استفتانا مستفتٍ لا يجوز لنا أن نفتيه إلا بالمفتى به من المذاهب الأربعة ، وأما الأقوال الضعيفة في كل مذهب كالتي اختارها الإمام النووي في المذهب الشافعي فإننا نقلدها لأنفسنا عند الضرورة ولا نفتي بها غيرنا [2] لذلك قالوا:

لو أفتى قاضٍ أو حكم بغير المفتى به من مذهبه ينقض حكمه أياً كان .

---

[1] انظر الأعلام للزركلي .

[2] أنظر كتاب بغية المسترشدين للسيد عبد الرحمن باعلوي مفتي الديار الحضرمية ص8

وأما أقوال غير المذاهب الأربعة من الأئمة المجتهدين كالإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي الذي كان يفتى بمذهبه في الشام والمغرب مدة 300سنة أو كمذهب سفيان الثوري، أو كمذهب الليث بن سعد صاحب الإمام مالك في مصر وغيرهم وداود الظاهري وإسحق ابن راهوية ومحمد بن جرير الطبري وسفيان بن عيينه والحسن البصـــري فإن أقوالهم إن عرفت شروطها المعتبرة في كل مسألة فإنه يجوز أن يقلدها الإنسان لنفسه وأما إن لم تعرف شروطها المعتبرة فلا يجوز تقليدها ولهذا نص غير واحد من العلماء على أنه :« أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يتعلقوا بمذاهب *أعيان الصحابة بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة الذين سبروا فنظروا وبوبوا الأبواب وذكروا الأوضاع للمسائل لأنهم أوضحوا طرق النظر وهذّبوا المسائل وبينوها وجمعوها* »[1] ولذلك أجاز الشافعية في قول ضعيف أن يصلي العبد عن أبيه أو أمه أو فروعه إن انتقلوا إلى جوار الله وكانوا مقصرين في الصلاة ،وهذا مذهب الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما وقد استشهد بقوله ﷺ « **من مات ولم يصلِّ فليصلِّ عنه وليهُّ** » لكن آخـــر الأمرين لسيدنا رسول الله ﷺ قوله « **لا يصلين أحدَّ عن أحد ولا يصومنّ أحدَّ عن أحدٍ** » ولأجل ذلك كان قول ابن عمر

---

[1] القائل هو إمام الحرمين الجويني الشافعي ﷺ .وانظر مقدمة كتابي ثلاثة أقمار في فقه المذاهب الأربعة .

ضعيفاً (فيقلده الإنسان لنفسه فقط إن شاء). وكان القول المفتى به هو آخر الأمرين.

فهؤلاء الأئمة الأربعة المجتهدون كان عندهم أهلية الاجتهاد ونعني بأهلية الاجتهاد : 1- معرفة الكتاب والسنة وعلومهما والإجماع والقياس والاستحسان والاستصلاح (المصالح المرسلة) وسد الذرائع (ما أدى إلى محرَّم فهو محرَّم) والعرف (وهو ما تعارف عليه عصر من العصور دون أن يكون مخالفاً للشرع الإسلامي) ، وأقوال الصحابة ﷺ وشرع من كان قبلنا وأصول الفقه المتبقية .

2- معرفة الناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة وقد تقدم الحديث عن بعض ذلك . 3- معرفة اللغة العربية وعلومها كعلم البلاغة والبيان والبديع . 4- الأحوال الشخصية الخاصة بالمجتهد من البلوغ والعدالة والضبط والدين والتقوى والورع وغيرها. 5ـ معرفة مصطلح الحديث النبوي الشريف وعلومه وأحكامه .

وهذه آلات الاجتهاد وليس كل مدع مصدَّق لأن الاجتهاد انقطعت آلاته منذ القرن الخامس الهجري، لكن أتى بعده مجتهدو كل مذهب فحرروا بعض أقوال الأئمة الكرام أو رجّحوا بين أقوالهم كالإمام النووي والرافعي في المذهب الشافعي ثم أتى بعد هذه الطبقة الثانية طبقة ثالثة سُموا بأصحاب الوجوه كالإمام الزركشي وابن حجر الهيتمي ومحمد الرملي

والخطيب الشربيني وشيخهم الشيخ زكريا الأنصاري .

وفي المذهب الشافعي يفتى اليوم بكتب الإمام : 1- ابن حجر الهيثمي. 2- محمد الرملي. 3- الخطيب الشربيني ، وغيرهم من المتأخرين الذين لم يخرجوا عن أقوال علماء القرن العاشر الهجري[1]

ح ــ المعجزة والكرامة:

المعجزات من الأمور الخارقة للعادة المقرونة بالتحدي للأقوام، يؤيد الله بها أنبياءه ورسله الكرام وتعني تصديق الله لنبيه فيما يبلغ عنه .

وخوارق العادات السبع المعروفة : 1- المعجزة. 2- الإرهاص: وهي التأسيس أو مقدمات النبوة تظهر على يدي النبي قبل نبوته (أي قبل سن الأربعين) كتظليل الغمام وسلام الشجر والحجر على سيدنا محمدﷺ . 3- الكرامة : تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح وهو الولي (أي العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان) المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي غير المنهمك بالشهوات ولو كانت مباحة . وهو على قدم سيدنا محمد ﷺ فتظهر على يديه الكرامات لتدل على مكانته عند الله كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغيرها من

---

[1] أنظر رسالتنا المؤلفة بهذا البحث رسالة المفتي وهي في مصطلحات المذهب الشافعي والمعتمد من كتب الفتوى والمعتمد من أمهات مسائل المذهب الشافعي (المسمى عمدة المفتي) .

المعجزات التي وقعت للأنبياء ولهذا قال علماء العقيدة « *ما كان معجزةً لنبي جاز أن يكون كرامة لولي* » . وقد ذكر القرآن الكريم بعض الكرامات للأولياء منها ما حدث لوزير سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حيث جاء بعرش السيدة بلقيس ملكة سبأ من اليمن جاء به إلى فلسطين بأقل من طرفة عين وقص ذلك مولانا في قرآنه في سورة النمل فقال : {**قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ۞ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**}.ولذلك قال صاحب الجوهرة:

وأَثْبِــتَــنْ للأَولِيـــــَا الكرامــةْ ومــنْ نفــاهَا اِنْبِذَنْ كلامَــةْ

فمنكر أصل الكرامة كافر لأنه يكذِّب صريح القرآن،كما ذكر أن السيدة مريم أنجبت سيدنا عيسى بدون أب ، وهذا عين الكرامة وكذلك ذكر عن سنة الخلفاء الراشدين في الأثر الحسن : أن سيدنا عمر كان يخطب على منبر المدينة المنورة وكان قد أرسل جيشاً إلى النهاوند على أطراف الصين بقيادة سارية فإذا به ينادي يوم الجمعة وهو يخطب: يا سارية الجبل الجبل. يقول سيدنا علي فدونت تاريخ ذلك عندي وبعد شهر أو يزيد جاء البشير بالنصر من الله تعالى لجيش سارية وكان مما قال : لقد كاد العدو أن يهزمنا لولا أننا سمعنا صوتاً

كصوت عمر في يوم الجمعة وقت الظهيرة ينادي يا سارية الجبل الجبل فالتزمنا جانب الجبل فنصرنا الله تعالى [1] وغيرها من الكرامات الكثيرة لأولياء الأمة ولأجل ذلك توعد الله بالحرب لمن يؤذي أولياء الله بكلامه أو بفعاله وقد روى البخاري في صحيحه قال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: « **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** » .

4- المعونة: تظهر على يد العوام المستورين تخليصاً لهم من شدة كما حدث لامرأة في الهند أراد أحد الجبابرة أن يؤذيها في عرضها فنادت من الهند : « اللهم انجدني بالجيلاني » . وكان سيدنا عبد القادر الجيلاني سيدَ أولياء عصره في العراق فأخذ فردة قبقابه وضربها نحو الهند فأصابت ذلك الجبار فوقع مغمياً عليه وأنقذ الله المرأة منه فتلك معونة للمرأة ظهرت على يدها تخليصاً لها من شدة.

5ـــــ الاستدراج: تظهر على يد كافر أو فاسق خديعة له ومكراً قال تعالى {**سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملي لهم إنَّ كيدي متين**}.

قال الإمام الشافعي: « *لو رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء وهو مقيم على المعاصي فلا تبال به فهو استدراج* » . قال ابن عطاء الله السكندري: *(خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك « سنستدرجهم من*

---

[1] رواه الإمام البيهقي بسند حسن .

حيث لا يعلمون»).

6- الإهانة: وتظهر على يد العبد تكذيباً لـــه كفعل مسيلمـــة الكذاب قـــالوا لـــه: إن محمداً ردَّ عين قتادة فأصبحت صحيحة فإليك هذا الأعور فابصق في عينه لعلَّها تبرأ فَتَفَلَ مسيلمة الكذاب في عينه فعميت الصحيحة.

7- السحر: وهو فعل أشياء أو تخييلها بطلاسم موهمة وهو فِسْقٌ أو كفر . قال تعالى في سورة البقرة عن هاروت وماروت{ **فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارّين به من أحدٍ إلا بإذن الله**}.

ومنه الشعوذة (الشعبذة): وهي خفة اليدين بحيث يظهر الشيء حقيقةً وليس كذلك قال تعالى في سيدنا موسى في موقفه مع السحرة {**يخيل إليه من سحرهم أنَّها تسعى** }.

قال صاحب الجوهرة:

ومـــعجـــزاتُه كثيرةٌ غُـــــرَرْ منها:كـــلامُ الله معجزُ البشـــرْ
واجْزِمْ بمعراجِ النَّبي كمَا رَوَوْا وبـــرُؤْيَـــنْ لعائشـــةْ مِمَا رَمـــوْا

فمعجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة بل لم يعطَ أحدٌ من الأنبياء والمرسلين معجزةً ولا فضيلـــة إلا وقـــد أعطي رسول الله ﷺ مثلها أو أبلغ منها، ومعجزاتـــه أكثر وأظهر وأدوم من معجزات سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وكلها تفيد العلم بصدق رسالته وصحة نبوته ﷺ وأعظمها وأكبرها معجزة القرآن الكريم وقد نَسَخَ كلَّ ما قبله من الشرائعِ ، وقد كَتَبَ في وجوه إعجازه علماء كثر منهم الإمام الماوردي في كتابه

أعلام النبوة ، والحافظ السيوطي في كتابه الإتِقان، والزركشي في كتابه علوم القرآن ، والإمام الشيخ يوسف النبهاني عقدَ فصلاً في كتابه حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين وكلهم وغيرهم أجمعوا على أن مناط إعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته إلى الله تعالى. ومن إعجازه:

ً1- فصاحته وبيانه ً2- أن يكون المعنى مطابقاً فلا يزيد عليها ولا يقصر عنها وقد حكى أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ { **فاصدع بما تؤمر** }. فسجد الأعرابي وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام. ً3- أنَّ نظم أسلوبه ونظم اعتداله يخرج عن منظوم الكلام وعن منثوره (*لا يدخل في شعر ولا رَجَزٍ ولا سَجْعٍ ولا خطابة*) قال أنيس الغفاري[1] : عرضت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر فلم يوافق شيئاً من طرق كلام العرب.

ً4- كثرة معانيه التي لايجمعها كلام البشر نحو قوله تعالى {**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** } فجمع في آية واحدة أمرين: أرضعيه – فألقيه، ونهيين: لا تخافي – ولا تحزني ، وخبرين: وأوحينا إلى .. – إذا خفت عليه ، وبشارتين : إنّا رادّوه ـــ وجاعلوه من المرسلين .

ً5- ماجمعه القرآن من علوم لا يحيط بها بشر ولا تجتمع في مخلوق فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شيء علما. ً6- إعجازه بما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد. ً7- ما تضمنه من أخبار

---

[1] وهو أخو سيدنا أبي ذر وكان موصوفاً بالتقدم في البلاغة والفصاحة.

القرون الماضية وقصص الأمم السالفة وما تحدى به أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشأن سيدنا موسى وحديث ذي القرنين .

8- إعجازه بما تضمنه من علم الغيب بأخبار تحدث مستقبلاً كقوله تعالى { **سيهزم الجمع ويولّون الدّبر** } وكان ذلك في بدر وقوله في الهجرة { **إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد** } فأعاده الله إلى مكة عام الفتح.

9- إعجازه بما فيه من الإخبار عن ضمائر القلوب التي لايصل إليها إلا علاَّم الغيوب كقوله تعالى { **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم**}.

10- إعجازه بعجز الأمم عن معارضته والإتيان بمثله وقد تحداهم مولانا أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا على مدى القرون الماضية والآتية كلّها ، وقد حاول مرة مسيلمةُ الكذاب أن يعارض القرآن فقال: ياضفدع نقي كما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ،لا الماء تكدرين ولاالشراب تمنعين. وقال الأسود الكذاب العنسي معارضاً سورة الفيل: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من شراسيف وحشى ، وقال آخر في معارضته سورة النجم: والنجم إذا سما ،والبحر إذا طما ،ما زاغ منذركم وما طغى ،وما كذب وما غوى ،فيما نطق به وروى. إلى آخر هذا الكلام السقيم السخيف فلذلك رد عليهم جميعاً مولانا فقال:{ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أوقال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء**}. **وقال تعالى { قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**}.

ومن معجزاته ﷺ المتعلقةِ بالعالم العلوي الإسراءُ والمعراج بجسده

وروحه معاً يقظة لامناماً، ومن أنكر الإسراء كفر لمخالفته صريح لفظ القرآن قال تعالى :

{سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنهّ هو السميع البصير}.

ومن أنكر المعراج فسق لمخالفته الأحاديث النبوية الخاصة به.

هذا وقوة الاعتبارات اللغوية والعقلية تؤيد ما قدمنا من رأي الجمهور، ففي آية الإسراء أدلة كثيرة منها :

1 - كلمة « **سبحان** » المشعرة باستعظام ما كان من الأمر، والتعجيب منه لجلالته، وهو لا يصح موقعه، ولا يتناسب وبلاغة القرآن إلا إذا كان ذلك أمراً غير معهود ولا مقدور لأحد من البشر، ولو كان الإسراء بالروح أو مناماً لما اقتضى هذا التعجيب .

2 - كلمة « **أسرى** » فهي لا تقال في النوم بل هي للسير الحسي كما هو معهود .

3 - كلمة « **بعبده** » وهذا نص قاطع في الموضوع فهو لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص بجملته المكون من الروح والجسد كما قال تعالى ﴿ **أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى** ﴾ إلى غير ذلك .

4 - قوله تعالى ﴿ **لنريه من آياتنا** ﴾ وفي سورة النجم ﴿ **أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربه الكبرى** ﴾ فقوله (ولقد رآه) أي رأى سيدُنا محمد ﷺ

سيدَنا جبريل .

وفي هذا إشارة قوية إلى المعراج وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه ﷺ عُرج به بعد الإسراء .والمعراج هو صعوده من بيت المقدس إلى السموات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى مستوًى سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار. ففي صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « عُرج بي حتى ظهرت بمستوًى أسمع فيه صريف الأقلام » (أي صوت الكتابة ...) .

أليس في ذلك أكبر دليل لكل من له ذوق وإنصاف بأنه ﷺ أسري به إلى بيت المقدسِ، ثم عرج به إلى الملأ الأعلى بجسمه وروحه، وأنه رأى سيدنا جبريلَ عتد سدرة المنتهى التي عندها الجنة، وأنه لما رجع إلى مكة مسروراً، ولما أصبح أخبر قريشاً بذلك فصدقه أبو بكر والموفقون فنالوا نضرة وسروراً، وكذبوه أبو جهلٍ ومن كان خاسراً مدحوراً ثم قالوا مستبعدين : إنا نضرب أكباد الإبل شهراً مصعداً وشهراً منحدراً ثم تزعم أنك سريت إلى بيت المقدس في ليلة واحدة ثم أصبحت بين ظهرانينا ...

وهل في الرؤية المنامية مجادلة، أو تكذيب، ... إلى آخر الأدلة .

وأما من الناحية العقلية فليس بمستحيل أيضاً بعد ظهور المخترعات الحديثة التي أظهرت العجائب وهي من قدرة المخلوق فكيف بك بقدرة الخالق ؟! ثم أليس قضية عرش بلقيس أكبر شاهد على ذلك . ومن أراد التوسع في هذه القضية وأدلتها فليرجع إلى كتاب مولانا السيد الوالد رحمه الله تعالى عن الإسراء والمعراج الذي حققناه وطبعناه سنة 1986 ففيه ما يشفي الغليل .

ومن معجزاته انشقاق القمر كما ورد في الصحيحين وغيرهما أن أهل مكة طلبوا منه هذه المعجزة فدعا الله تعالى فانشق القمر نصفين

نصف بقي في مكانه ونصف نزل خلف جبل أبي قبيس فقال ﷺ اشهدوا. وقد حدث ذلك مرتين بعهده ﷺ قال تعالى: { **اقتربت الساعة وانشق القمر**}، ومنها رد الشمس كما ثبت عنه ﷺ أنه كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ : صليت يا علي؟ قال: لا. قال رسول الله ﷺ اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: رأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت وقعت على الجبال والأرض ،وذلك في الصهباء في خيبر وهذا من علامات النبوة.

ومنها رمي الشياطين بالشهب قال الله تعالى { **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً..... إلى قوله فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا**} .

وغيرها من المعجزات المتعلقة بإحياء الموتى وشفاء الأمراض وتكليم الجمادات كالشجر والحجر وتسبيح الحصى والطعام وحنين الجذع وكلام الشاة المسمومة وسقوط الأصنام بإشارته عام الفتح وغيرها كثير كثير [1] .

ونعتقد براءة سيدتنا وأمّنا ــ قبل أمّنا ــ الطاهرة الصِّدِّيقة عائشة رضي الله عنها مما رماها به المنافقون وقد وردت براءتها في كتاب الله تعالى وانعقد عليها الإجماع فمن جحدها أو شك فيها فقد كفر لأنه يكذب النصوص القرآنية .

ط ــ الدعاء مخ العبادة : وهو سبب عظيم لمغفرة الذنوب ، مستحب في كل وقت وهو من العبادات العظيمة ولهذا شرعه لنا مولانا لنعترف له بألوهيته وربوبيته وهو سبب عظيم لزوال سخط الرب ﷻ وخاصة إذا كان مع حضور القلب والتضرع والاستكانة ، وبه ينصر الله عباده ويؤيدهم ويعطيهم من فضله وكرمه ويرد عنهم بأسه . يقول ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء**» [2] .

وقال تعالى { **ادعوني استجب لكم** } وها هم رسل الله وأنبياؤه خلّصهم مولانا من الشدائد بدعائهم فقد دعا سيدنا زكريا ربه ليرزقه غلاماً وناداه { **نداءً خفياً** } فجاءته البشرى { **بغلام اسمه يحيى** } قال تعالى :

(1) انظر كتابنا نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية الجزء الأول : السيرة النبوية .

(2) المراد به القضاء المعلق فهذا يردّه الدعاء والصدقة وصلة الرحم وبر الوالدين وفعل الخيرات ..

{ وأيوب إذ نادى ربه أنّي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين✧فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ✧وإسمعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصبرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من✧الظالحين✧وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أ لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من✧الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نـنجي المؤمنين ✧وزكريا إذ نادى ربه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خشعين✧} .

يقول ﷺ : « **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثْمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث ، إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يَصْرِف عنه من السوء مثلها** » (رواه أحمد) وقد ذكرتُ آداب الدعاء وأحواله وأمكنته وزمانه في كتابي (مع الله في الأذكار والأوراد) اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من

عبادك المخلصين ، قال صاحب الجوهرة:

وعندنـــا أنَّ الدعـــاءَ يَنْفَـــعُ كمـــا مِنَ القرآنِ وَعْداً يُسْمَعُ

الباب الخامس

الإيمان بالملائكة

يستلزم الإيمانُ بالله تـــعالى التصـــديـــقَ بكل ما أخبر بـــه عـــن عالم الغيب وهو ما يسمى بالسمعيات أي ما روي إلينا سماعاً من القرآن والسنة، من ذلك الإيمان بالملائكة وهو فرض يعتقد في الدين يكفر جاحده. قال تعالى : { **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً** } .

فمن هم الملائكة ؟

الملائكة عليهم الصلاة والسلام أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة أو أنوثة ،لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ،مترهون عن المعاصي، معصومون منها، أعطاهم الله القدرة على التشكل بالأجسام، بل أعطاهم القدرة على بعض أعمال يعجز عنها البشر، يسبحون الله تعالى ويمجدونه ويستغفرون للذين آمنوا .

بعض أعمال الملائكة : يلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في

الفضل خواص الملائكة وهم الأربعة :

1ــ سيدنا جبريل : وهــو أمين وحي السماء وسفير الأنبياء مــوكل علــى الــريــح والجنود والملائكة .

2ــ سيدنا ميكائيل : موكل على النبات والقطر، ويترل بالسخط من الله تعالى والنقمة من الله تعالى على أعداء الله تعالى ويترل بالرضى من الله تعالى وعفوه على عباده .

3ــ سيدنا إسرافيل : وهو نافخ الصور يأمره مولانا ﷻ بنفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث.

4ــ ملك الموت : عمله قبض الأنفس، له أعوان من الملائكة، قيل: إن اسمه عزرائيل .

5ــ سيدنا رضوان خازن الجنة .

6ــ سيدنا مالك خازن النار .

7ــ أسيادنا حملة العرش . قال تعالى **}ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية{** . قال ابن عباس : ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدَّهم إلا الله تعالى .

8ــ الكروبيون = المقربون : وهم ملائكة حول العرش يستغفرون مع حملة العرش للذين آمنوا . قال تعالى : **}لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون{ .**

9ــ منكر ونكير : وهما للمؤمنين مبشر وبشير، يسألان العبد بعد نزوله القبر عن ربه وعن دينه.

10ــ رقيب عتيد : فلكل عبد ملكان كلٌ منهما رقيب عتيد ،

يكتبان أعماله، تكتب السيئة واحدة، والحسنة عشرا. وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات يأمره بالانتظار لئلا يكتب المعصية ست ساعات فإذا مضت و لم يتب أمره بكتابتها .فليحفظ امرؤ عليه لسانه وليكف يده وليحاسب نفسه قبل أن يحاسب في الموقف العظيم يوم القيامة نسأله تعالى السلامة من كل آفة لنصل إلى دار السلام بسلام قال تعالى **{مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}**.

قال صاحب الجوهرة:

بكلِّ عبدٍ حافظونَ وُكِّــلُوا وكاتبونَ خِيْرةٌ لــن يُــهْــمِلُوا
مِنْ أمرِه شيئاً فَعَلْ وَلَوْ ذَهِلْ حتى الأنين في المرضْ كَمَا نُقِــلْ
فحاسب النفس وقَلِّلْ الأملا فَرُبَّ مَــنْ جَــدِّ لأمر وَصَلا

11ــ الملائكة الحفظة :يحفظون العبد من أمر الله تعالى دون أمره المبرم أي الذي كتب الله عليه أن يصيبه قال تعالى { **له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** } .

12 ــ الروح : لأنه ورد أنه غيرُ سيدنا جبريل ، وهو أعظم الملائكة في السماء يسبح كل يوم 120.000تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً .

13 ــ الزبانية : وهم أعوان سيدنا مالك على النار قال تعالى {**عليها تسعة عشر** } أي على النار وقال أيضاً { **فليدع ناديه، سندع الزبانية** } .

14 ــ المتعاقبون : بين الليل والنهار فملائكة النهار تنزل الفجر

ويصعدون العصر وملائكة الليل تنزل العصر وتصعد الفجر قال ﷺ : " يتعاقب عليكم ملائكة بالليل والنهار " .

15ــ اختص الله ملائكة من خلقه يضعون أجنحتهم لطالب العلم رضًى بما يصنع .

16ــ إن لله ملائكة سياحين في الأرض ليبلغوا النبي الكريم ﷺ صلاة العباد وسلامهم عليه ،فالصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله بعدد من صلّى عليك ، والصلاة والسلام عليك بعدد من لم يصلِّ عليك ، والصلاة والسلام عليك كما ينبغي الصلاة عليك ، والصلاة والسلام عليك كما تحبّ أن يصلّى عليك وعلى آلك وصحبك وعترتك مثل ذلك .

الباب السادس

الإيمان باليوم الآخر

وهو مـــن فروض الإيمان وسمي كذلك لعدم وجود أيام بعده ويوجد من الأهوال والأحوال ما يشـــيب لهولها الولدان قال تعـــالى { **يا أيها النّاس اتقوا ربَّكم إنَّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم يوم ترونـها تذهل كلُّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد** } .يقول صاحب الجوهرة :

وَوَاجِبٌ إيمانُنَا بالموتِ وَيَقّبِضُ الروُّحَ رَسُولُ الموتِ

والقيامة قيامتان الأولى: موت العبد ، فإذا مات قامت قيامته.

الثانية : اليوم الآخر فإذا مات العبد كان قبره إما حفرةٌ من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، تصعد روحه إلى السماء إن كان مؤمناً، ولا تنفتح لها أبواب الســـماء إن كان كافراً ، يقول مولانا عنها : (روحٌ خبيثةٌ تخرج من جسد خبيث اجعلوها في سجين) ويقول عن

روح المؤمن (روحٌ طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين) فإذا وضع في قبره حضره منكر ونكير يسألانه عما كُلِّف به إلا الأنبياء والشهداء والصديقين والمرابطين والمطعونين، ومن مات ليلة الجمعة أو يومها ، والملازم لقراءة سورة تبارك ، أو يسألون سؤالاً خفيفاً وهو الراجح . إلا الأنبياء وشهداء المعركة ،فيعيد الله الأرواح إليهم ويسألونه بلغاتهم التي يعرفونها .

وعذابُ القبر ونعيمُه حق على البدن والروح جميعاً ويفنى الجسد إلا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص .

قال صاحب الجوهرة:

سؤالُنا ثمَّ عذابُ القَبْرِ نَعْيمُهُ واجبْ كَبَعْثِ الحَشْرِ
وواجبٌ إيمانُنا بالموتِ ويَقْبِضُ الروحَ رسولُ الموتِ
عَجْبُ الذَّنَبْ كالروحِ لكنْ صَحَّحَا المزنُّي[1] للبلى ووضحا

والراجح أنه لا يفنى وإن صحح الإمام المزني فناءه ولله في هذا سرٌ لا يعلمه إلا هو ، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، فيُحتمل أن يكون علامة للملائكة على إحياء كلِّ إنسان بجوهره ولا يحصل إلا ببقاء عَظْم كلِّ شخص والله أعلم ، يقول ﷺ فيما ما يرويه الإمام البخاري « **ولا يبقى في الانسان شيء إلا يبلى إلا**

---

[1] المزني: اسماعيل بن يحيى صاحب مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنهما (175 - 264هـ) إمام الشافعية في مصر، قال عنه الإمام الشافعي: المزني ناصر مذهبي لو ناظر الشيطان لغلبه.

عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنَب منه يُركَّب الخلق يومَ القيامة » وفي صحيح الإمام مسلم «**كلُّ ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْبَ الذنب منه خُلِق ومنه يركَّبُ الخلق يوم القيامة**» . لكن اختلف العلماء في الروح هل تموت أم لا ؟!. والجواب : لا .

والروح : جوهر لطيف « جسم » شفاف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة صاحبها ترى المغيبات وبها يكون الكشف لأصل الحقائق ، وهذا القول منقول عن أصحاب الإمام مالك ، قال بعض العلماء إن كانت نفساً فإنها تموت لأنه تعالى يقول { **كلُّ نفس ذائقة الموت** } وإذا كانت الملائكة تموت فالأرواح البشرية أولى بالموت ، ورجَّح بعضهم الآخر كالإمام السُّبكي عدم الفناء ـــ وهو الراجح ـــ قال تعالى { **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** } وهي بعد الموت إما منعمةٌ أو معذبة ، ولهذا ورد عن ابن مسعود في صحيح مسلم « **إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر** » قال صاحب الجوهرة:

ولا تَخُصْ في الروح إذْ ماوَرَدَا نصٌ عنَ الشارع لكنْ وُجِـدَا
لمـالـكٍ هي صورَةٌ كالجَسَدِ فَحَسْبُك النصُّ بـهـذا السَّنَدِ
والعقلُ كالرّوحِ ولكنْ قرّروا فيه خلافاً فانْظُرَنْ مـا فَسَّـروا

والعقل كالروح فيه الخلاف القائم بين العلماء في بيان حقيقته . وسيمر ذلك قريباً .

فالعقل في القلب يشع نوره إلى الدماغ عند أهل السنة والجماعة .

ومن الملاحظ أن استثناءً ورد في الآية القرآنية (وهو إلا من شاء الله) وهذا الاستثناء (من الصعق) ذكر منهم : الأنبياء والعلماء وحملة العرش والكرسي والعرش والجنة والنار والشهداء ، ولذا ورد أن سيدنا موسى لا يُصعق لأنه صُعق من قبل لقوله تعالى { **وخر موسى صعقا** } ويغشى على الأنبياء ولذلك عبر في البخاري بعبارة تدل على ذلك لقوله ﷺ « **فأكون أول من يفيق** » فالآية التي تقول: { **كل شيء هالك إلا وجهه** } تخصص بهؤلاء المذكورين فهي من قبيل العام المخصوص ، وصحح الإمام إسماعيل ابن يحيى المزني بأن الروح تفنى حتماً بقوله تعالى {**كل شيء هالك إلا وجهه** }وقول {**كل من عليها فان** } قال صاحب الجوهرة:

وفي فنا النفسِ[1] لدى النَّفْخِ اخْتُلِفْ
واستظهر السبكيْ [2] بقاها اللَّذْ عُرِفْ
عَجْبُ الذَّنَبْ كالروحِ لكنْ صَحَّحَا
المـــزنيُّ للبلَـــــى وَوَضَّحَـــــا
وكـــلَّ شيءٍ هالكٌ قـــدْ خَصَّصُوا
عمومَه فـــاطْلُبْ لِـــا قَـــدْ خَـــصَّصُـــوا

وهذا رد على الدَّهْرية الذين يقولون : إن هي إلا أرحام تَدْفَع وأرض تبلع ، وهذا القول رد عليه مولانا في كتابه الكريم وقرّع أصحابه فقال { **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن**

---

[1] أي الروح .

[2] الإمام العلم سيدي عبد الوهاب بن علي السبكي (727 - 771هـ) ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق ومات فيها في الطاعون إنتهى إليه قضاء القضاة في الشام من كتبه: طبقات الشافعية الكبرى - جمع الجوامع في الأصول - الأشباه والنظائر.

بمبعوثين } وهذا تقرير استنكاري يوافقه التقريع لأن الموت والحياة يتعاقبان على جسم المخلوق يرتفع أحدهما بوجود الآخر.

وملك الموت هو عبد الجبار قيل إن اسمه عزرائيل وله أعوان كثر قال تعالى { **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**} وكل مخلوق يموت بانتهاء أجله وهذا قدره مولانا قبل أن يخلق السمواتِ والأرضَ بـــ 50.000 سنة كما ثبت في صحيح مسلم قال تعالى { **ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها** } وقال { **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** } ولهذا فكل ذي روح يَفْعَلُ بنفسه ما يُزْهِقُ روحَه ميت بانقضاء عمره [1](1) لأن المقتول يقتل بأجله والله يعلم ما كان قبل أن يكون فهو يعلم أن هذا يموت بالغرق أو بذات الجنب أو بالسيف أو بالسهم ،ولأن قتله لم يولد من فعل القاتل وإنما بخلق الله تعالى بل إنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت ، وإنما يقع اللوم على القاتل لأنه قتله بغير أمر من الله تعالى فكأنه هدم ملك غيره بغير إذنه وذلك حرام، ألا نجد أن مولانا قد أمرنا بالجهاد ووعدنا بالثواب عليه، ولو ألقى مسلم نفسه في خضم معركة حتى أخذته السيوف فما عُرف من كثرة ما مزقته ألا يكون شهيداً ؟ بلى لأن لسان حاله كان يقول { **وعجـــلت إليك ربِّ لترضى** } قال صاحب الجوهرة:

---

(1) وهو مرتكب لكبيرة من الكبائر وليس بكافر ، بل أمره إلى الله تعالى إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء غفر له ، لذلك يصلى عليه كفيره من موتى المسلمين العصاة ، و في الحديث : (بادرني عبدي بنفسه فحرّمت عليه الجنة)نسأله تعالى حسن الختام والوفاة على الإيمان ، آمين

وَمَيِّتٌ بعُمْـــــرِهِ مـــن يُقْتَـــلُ وغيرُ هـــــذا باطلٌ لا يُقْبلُ

وقد اختلف العلماء عند النفخة الثانية هل تعود الأجسام إلى الحالة التي كانت عليها في الدنيا على أجسامهم أم لا ؟ والذي عليه المحققون أنها تعود ،فمن مات صغيراً بُعث صغيراً ، ومن مات كبيراً بُعث كبيراً، وذلك لأجْل أن تشهد على الإنسان أعضاؤه بما عمل . قال صاحب الجوهرة:

وقُلْ يُعّادُ الجِسْمُ بالتَّحقيقِ عَـــنْ عَـــدَمٍ وقيل عَنْ تَفْريقِ

مَحْضَيْنِ لكنْ ذَا الخَلاَفُ خُصَّا بالأنبيـــــا ومَـــنْ عليهم نُصَّا

أي أن الأنبياء والشهداء والمؤذنين المحتسبين ومن على شاكلتهم لاتسلط الأرض على أجسامهم ، وعليه فتعود كما كانت يومَ ماتت حتى في السن الذي ماتت فيه، والطول واللون وهو مايسمى بالأعراض .فإما أن يعيدها مولانا عن عدم محضٍ أو عن تفرق أجزاء وتحولها إلى تراب و تُعْرَضُ عليه عرضاً حقيقياً كلُ أعماله التي عملها في الدنيا حقيقة ثابتة لاشك فيها ولا امتراء وكلها شاهدة عليه بما قدّم وأخّر نسألك اللهم دوام سترك علينا في الدنيا والآخرة .قال صاحب الجوهرة:

وفي إعادة العَرَضْ قَوْلانِ وَرُجِّحَتْ إعادةُ الأعيْانِ [1]

وفي الزمنْ قَولاْنِ والحِسَابُ حَقٌّ ومـــا في حِقٍّ ارتيابُ

فيحاسب مولانا العبدَ على كل أعماله في الدنيا، إن كان صالحاً يثيبه عليه وإن كان غيرَ ذلك يعاقَبُ على السيئة بمثلها وأما من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيقفون على الأعراف ، وهو مكان بين

الجنة والنار قال صاحب الجوهرة:

فالسَّيئاتُ عِنْده بِالمِثْل والحسناتُ ضُوعَفَتْ بالفَضْل

فجزاء السيئات [1] عنده تعالى مقدر بمثلها إن جازاه عليها ، وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفراً وإلا خلِّد في النار وسمّيت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة .

وأما الحسنات [2] فيضاعفها الله تعالى بفضله لا وجوباً عليه ، والحسنة سميت بذلك لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة وتتطاير الصحف يوم القيامة فمن أخذها بيمينه نجا ، ومن أخذها وراء ظهره خاب وهلك ، قال تعالى { **فأمّا من أوتي كتابَه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً إنّه كان في أهله مسروراً**}.

ويوضع الميزان ، كل كفة طباق السموات والأرض ،واختلفوا هل توزن الكتب التي كُتب فيها جزاء الأعمال أم توزن الأعمال نفسُها. الله أعلم .

ثم يمر الناسُ على الصراط وهو جسر على جهنم ، منهم من يمرُّ كالبرق الخاطف أو الريح المرسلة أو كالفارس أو سعياً أو مشياً أو حبواً ومنهم من يُخدش أو يقع ومنهم من يراه واسعاً ومنهم من يراه

---

[1] وهي ما يذم فاعله شرعاً .

[2] وهي ما يمدح فاعله شرعاً .

ضيقاً حسب عمله، قال صاحب الجوهرة:

واليومُ الآخِرْ ثم هــولُ الموقفِ حَــقٌّ فخففْ يا رحيمُ واسْــعِفِ
وواجبٌ أخْذُ العبادِ الصُّحُفَــا كَمَا مِنَ القرآنِ نَصَّاً عُــرِفَــــا
ومثلُ هذا الــوزنُ والميزانُ فَتُــــوزَنُ الكُتْبُ أو الأَعْيَانُ
كَذَا الصِّراطُ فــالعبادُ مختلِفْ مــرورُهــم فسالٌم وُمْــنتَلِفْ

ومن السمعيات الواجب الإيمان بها العرش والكرسي ولا يعلم حقيقتهما أحد إلا الله تعالى قال تعالى { **ويحمل عرشَ ربك فوقهم يومئذ ثمانية** } وقال أيضاً { **وسع كرسيه السموات والأرض** } ورد أنهما جسمان عظيمان نورانيان ، والعرش أعظم من الكرسي فقد قال ﷺ : « **يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة** » (حب)

ومنها اللوح والقلم وهما جسمان نورانيان أمر الله القلم أن يكتب على اللوح ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . قال صاحب الجوهرة :

والعَرْشُ والكُرْســـــيُ ثمَّ القَلَمُ والكاتبونُ اللــوحُ كلٌّ حِكَمُ
لا لاحتياجٍ وَبِــهَــا الإيمــانُ يَجبْ عليكَ أيــُّهــا الإنْسَانُ

والملائكة الكتبة الذين يكتبون أعمال العباد أقسامهم ثلاثة :
الكاتبون على العباد وأعمالهم في الدنيا ،والكاتبون من اللوح المحفوظ

مافي صحف الملائكة الموكلين بالتصرف في العالم كل عام ، والكاتبون من صحف الملائكة كتاباً يوضع تحت العرش . وكلها تقصر عقولنا عن إدراكها ، لله فيها حِكم هو أعلم بها ، فهو لم يخلقها لاحتياج ، كيف وقد كان الله و لم يكن شيء قبله فلم يخلق العرش للاتكاء ولا الكرسي للجلوس : ولا القلم لاستحصار ما غاب عن علمه تعالى ولا الكاتبين ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه ،ولكن يجب علينا الإيمان بها لورودها في الكتاب العزيز .

ومنها الجنة والنار وهما مخلوقتان أوجدهما مولانا وجعل الجنة ثواباً لمن أطاعه ، وجعل النار عذاباً لمن خالفه ، ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن الجنة سبع أفضلها الفردوس ثم عدن ثم الخلد ثم النعيم ثم المأوى ثم دار السلام ثم دار الجلال .

وروي أن طبقات النار سبع أعلاها جهنم فيها يعذب عصاة المسلمين قبل خروجهم منها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وهي دار المنافقين لا يموتون فيها ولا يحيون .

قال تعالى {**ولمن خاف مقام ربِّه جنّتان** } وقال أيضاً { **ومن دونهما جنّتان** } . قال صاحب الجوهرة :

والنارُ حقٌّ أُوجَدَتْ كالجنةْ فلا تَملْ لجاحدٍ ذِيْ جنَّةْ

دارا خلودٍ للسَّعيد والشَّقيْ مُعَذَّبٌ مُنَعَّمٌ مهما بَقِيْ

ولكل منهما قال تعالى **}خالدين فيها {** إلا أن مولانا يُخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان ، ويُخرج أقواماً بشفاعة نبينا ﷺ

وشفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء كما سيمر بإذن الله تعالى ، وفي الحديث «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» (ت) .

وأرقى نعيم في الجنة رؤية الحق ﷻ اللهم متعنا برؤيتك على أحسن حال وأكمل مآل .

ونعتقد بحياة شهداء الحرب عند مولانا ﷻ حياةً هو أعلم بها وهي ثابتة للذات والروح معاً في نعيم الجنان . قال تعالى { **ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون**} .

ولا يضر كون أرواحهم في حواصل الطير كما ورد عند الترمذي « **إنّ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر** .... » لأن أرواحهم متصلة بأجسامهم اتصالاً قوياً .

والشهداء ثلاثة : شهيد الدنيا والآخرة : وهو مَن قاتل إعلاءً لكلمة الله تعالى .

شهيد الدنيا : وهو من قاتل لغنيمة

شهيد الآخرة : وهو من يموت في مرض أو في حريق أو غريقاً وهذا يغسل ويكَّفن ويُصلى عليه بعكس الأَولَين قال ﷺ :

« **الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله** » (ق) .وسُمي شهيداً لشهادة الله وملائكته له بالجنة . قال صاحب الجوهرة :

وَصِفْ شَهِيْدَ الحَرْبِ بِالحَيَاةِ وَرِزْقُهُ مِنْ مُشْتَهَى الجَنَّاتِ

يقول ﷺ « **إني فرطكم على الحوض** » وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهي الأرض البيضاء كالفضة، من شرب منه لا يظمأ أبداً ترده هذه الأمة . وأحاديثه متواترة ، قال ﷺ (ق) «حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، ماوعده أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً » والحوض غير الكوثر لأن الكوثر في الجنة ، تختلف منه أحوال الشاربين، فمنهم من يشرب لدفع العطش ، ومنهم من يشرب للتلذذ. ويُطْرَدُ الكافر حرماناً ويطرد العاصي عقوبة ثم يشرب منه قبل دخوله النار فيكون أماناً لهم من أن تحرق النار أجوافهم ، قال صاحب الجوهرة:

إيمانُنا بحـــوض خَـــيْر الرُّسْل حَتْـــمٌ كَمَـــا قَدْ جاءَنا في النَقْل

ينالُ شُرْباً منـــه أقوامٌ وُفَـــوْا بِعَهدهمْ وَقُلْ يُـــذَادُ مَنْ طَـــغَوَا

ومما يجب أن نعتقده أن لسيدنا رسول الله ﷺ ولغيره من الشهداء والصالحين شفاعة كثيرة منها ما ذكر عنه ﷺ أنه يشفع : لأقوام في دخولهم الجنة بغير حساب ،ويشفع لأقوام في عدم دخولهم النار بعد

استحقاقهم لها ،ويشفع لأقوام موحدين في إخراجهم من النار ويشفع لأقوام في زيادة درجاتهم في الجنة، وغيرها من الشفاعات التي أوصلها بعض العلماء إلى عشرين ،وقد روي عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى {**ولسوف يعطيك ربك فترضى** } قال ﷺ :« **لا أرضى وواحد من أمتي في النار** »[1] (طب) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال : لقد ظننت أن لايسألني عن هذا أول منك لما رأيت حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه** » أخرجه البخاري والواجب اعتقاده أنه ﷺ شافع ، وكونه مقبول الشفاعة .

وكونه مقدماً على غيره في الشفاعة حين اشتداد الهول . ـــ والشفاعة في الأصل هي أن تلتمسه ممن هو في يده لا لنفسك بل لشخص ثالث ،وهي مأخوذة من الشفع بمعنى الضم ، لأن الشفيع يضم صوته في الطلب إلى صوت صاحب الحاجة معونة له على تحصيل مرغوبه (فهي تحصيل الخير من الغير للغير) ، وأما الشفاعة عند الله تعالى فإنها وإن لم ينعم بها إلا المقربون إليه لكنها لا تَرُدُّ من قَدِرَ الله شيئاً وإنما هي مظهر تكريم للشافعين بإجراء الإحسان على أيديهم لمن

---

[1] رواه الطبراني بإسناد ضعيف .

أراد الله الإحسان إليه ، قال تعالى { **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** } {**لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً** } فيشفع الأنبياء والمرسلون والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء كل على قدر مقامه عند الله تعالى . وقد ورد في الحديث قوله ﷺ « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » . وقال ﷺ (ق) أنا أول شافع وأول مشفَّع . قال صاحب الجوهرة :

وواجبٌ شفاعةُ المُشَفَّعِ مُحَمَّدٍ مُقَدَّمَاً لا تَمْنَعِ
وغيُره مِنْ مُرْتَضَى الأَخْيَارِ يَشْفَعْ كَمَا قَدْ جَاءَ في الأَخْبَارِ

الباب السابع

أحكام متفرقة في العقيدة

أ ــ **الرِّزق** [1] : ما ســـاقه الله تعالى إلى مخلوقاته فانتفعوا به بالفعل ، وخرج به ما لم يُنتفع به ممن ملك شيئاً و لم ينتفع به بالفعل فليس ذلك رزقاً ولهذا صرح ناظم الجوهرة بأن هذا القول ما اتبع أي لم يتبع . وقال ﷺ « **إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها** » (حب) والروع هو القلب .

والرزق [1] نوعان : رزق ظاهر مادي ، ورزق باطن معنوي كالعلوم والمعارف للقلوب . والمادي يُستجلب بمباشرة الأسباب لا يمسكه الله تعالى إلا ابتلاءً أو عقاباً.وقيل الرزق هو ما ملك وليس صحيحاً .

ويرزق الله تعالى الحلال (وهو ماكان مباحاً بنص أو إجماع أو قياس) والحرام (ما نهي عنه نهياً أكيداً) والمكروه (مانهي عنه نهياً غير تأكيد) . خلافاً لمن نفى أن الله لا يرزق الحرام ولعلهم قالوه من باب الأدب.قال صاحب الجوهرة:

والرِّزْقُ عند القوم مابـــه انْتُفِعّ وقيل : لا، بل ما مُلِكْ، وما أُتُبْع
فيرزق اللهُ الحـــــــلالَ فاعُلَمَا ويرزقُ المَكْـــرُوَه والمُحَرَّمـــا

ب ــ **الاكتساب والتوكل** :

---

[1] الرزق بكسر الراء يعني الشيء المرزوق .

اختلف العلماء فيهما فرجح بعضهم الأول وهو مباشرة الأسباب بالاختيار كالبيع والشراء لأجل الربح ، وتعاطي الدواء لأجل الصحة وغيرها .

ورجح قوم التوكلَ وهو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع التمكن منها لأنه يشغل عن الله تعالى وعن الوثوق بما عنده، وقد اتفق الخواص من أهل الله تعالى أن من انقطع إلى الله تعالى كفاه ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها .

والأفضل مَن ملك الطريقين أي أن يثق بما في يد مولانا ويعتقد أن الأمر كله منه وبعده يباشر الأسباب، ولا يخفى حديث **«اعقلها وتوكل»** . وعليه فالتوكل لاينافي الكسب قال صاحب الجوهرة :

في الاكتساب والتوكل اختلف والراجح التفصيل حسبما عرف

وحاصل التفضيل أنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس ، فمن يصبر عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد فالتوكل في حقه أرجح .

ومن لم يكن كذلك فالاكتساب في حقه أرجح حذراً من التسخط وعدم الصبر ، بل ربما وجب الاكتساب في حقه .

ج ــ العقل : وسمي كذلك لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل ، وأحسن ماقيل فيه : إنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية . وقيل فيه : إنه لطيفة ربانية لا يعلمها إلا الله تعالى فمن حيث تفكرها تسمى عقلاً ، ومن حيث حياة الجسد تسمى

روحاً ، ومن حيث شهوتها تسمى نفساً وهو على خمسة أنواع :
الأول غريزي : وهو غريزه يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية ،
والثاني :كسبي ، وهو ما يكتسبه الإنسان من معاشـــرة العقلاء ،
والثالث : إعطائي وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به إلى الإيمان ،
والرابع : عقل الزهّاد وهو الذي يكون به الزهد .
والخامس : شرفي : وهو عقل نبينا سيدنا محمد ﷺ لأنه أشرف العقول.
ومستقرُّه القلب كما قال الإمامان الشافعي ومالك وغيرهما إنه نور يقدفه الله في القلب يشعُّ نوره إلى الدماغ ، ولهذا ورد في الحديث الحسن في الأدب المفرد للبخاري عنه ﷺ : "إن العقل في القلب والرحمة في الكبد والرأفة في الطحال و النفس في الرئة ".

د ــ الرد على السوفسطائية :

الشيء عند الأشاعرة هو الموجود ، والموجود هو ما تصح رؤيتـــه، أمـــا المعدوم فـــليس بشيء ، وأن الحقائق التي نتعقلها ونطلـــق عليها الأسماء (إنسان ، أرض ، سماء .....) ثابتة في الواقع أي موجودة أيضاً لأنها تصح رؤيتها فكل ماصدق عليه الموجود وبالعكس فكل شيء موجود وكل موجود شيء .

وأما السوفسطائيون فيزعمون أن حقائق الأشياء خيالات لا ثبات لها في الواقع ، وقد حاول مرة الإمام الأعظم أن يرد على أحدهم حين أتى إليه فأخفى له بغلته فخرج و لم يجدها فراح يطلبها، فقال له الإمام

ألا تزعم أنه لم يكن لها حقيقة ، فلماذا تطلبها؟ فكأنما أُلقم حجراً ، ثم رد له الإمام بغلته بعد أن تاب على يديه . قال صاحب الجوهرة :

وَعِنْدَنَا الشيءُ هُوَ الموجودُ وَثَابِتٌ في الخارجِ الموجودُ

ثم إن وجود شيء من المخلوقات هو عين حقيقته .

وأن الجوهر ما لا يتجزأ ولا يقبل القسمة أصلاً لاقطعاً ولا كسراً ، وكل جوهر حادث لأنه مسبوق بالعدم فالله قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى جزءٌ على جزء . وجميع الأجسام متركبة من الجواهر والعالم بجميع أجزائه حادث فيكفر من يعتقد أنه قديم . هذا هو مذهب المسلمين . قال صاحب الجوهرة :

وجودُ شيءٍ عينُهُ والجوهرُ الفرْدُ حادثْ عِنْدَنَا لا يُنْكَرُ

هـــ ــ حكم المعاصي :

إذ أن الذنوب قسمان : 1ــ الكبائر: وهي ما ورد عليها الوعيد والعذاب أو الغضب في الكتاب والسنة أو ماورد في عمله اللعن والعياذ بالله تعالى أو ما كان فيه انتهاك حد من حدود الله أو نفي إيمان أو ليس منا أو وصف فاعليها بالفسق ، وقد أوصلها بعضهم إلى سبعين كبيرة لقول سيدنا ابن عباس لما سأله السائل عنها فقال : « هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار » وأوصلها ابن حجر الهيثمي في كتابه الزواجر إلى

700كبيرة.

وهي أقسام عدّة ، بعضها أكبر من بعض ، ورأسها الشرك بالله تعالى ثم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ومن أكبر الكبائر الكذب على سيدنا رسول الله ﷺ يقول ﷺ « **اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها : الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات** » متفق عليه . وعندهما أيضاً قوله ﷺ « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور... فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت** » ولهذا يقول مولانا { **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** } وهذا القسم لا يكفّره إلا الرجوع إلى الإيمان الحقيقي فلابد للمشرك أن ينطق بكلمتي التوحيد إن كان وثنياً وأما إن كانت مخالفته الدين لشيء آخر كالزنى أو شرب الخمر فإنه يطهِّره إقامة الحد عليه أو التوبة إن لم يصل الأمر للحاكم وتجب التوبة عند التلبس بمعصية فوراً ، وتأخيرها ذنب آخر سواء كانت المعصية صغيرة أم كبيرة ، فالتوبة ماحية للذنوب السابقة عند كل الفرق الإسلامية ، ومن المقرر أن حقيقة التوبة (أركانها) هي :

1ــ ندم على المعصية 2 ــ عدم الرجوع إلى الذنب في المستقبل 3 ــ إقلاع عنها في الحال إن كان متلبساً بها 4 ــ نعم إن كان في

هذه الذنوب تبعاتٍ من حقوق العباد لم تكن التوبة منها بمجرد الندم والاستغفار بل لابد عند الأكثرين من رد تلك الحقوق لأصحابها أو تحللها منهم ومسامحتهم له فيها [1] ، لأن هذا الإقلاع عن الذنب الذي هو ركن من أركان التوبة فإن لم يفعل ذلك فهو تحت المشيئة الإلهية لكن صاحبها غير كافر فلا نكفر أحداً من أهل القبلة ،وأما الكفر الصريح فإن صاحبه في طبقات العذاب يوم القيامة قال صاحب الجوهرة:

إذْ جائزٌ غفرانُ غيرُ الكُفْرِ فَلا نُكَفِّرْ مؤمناً بالوِزْرِ

ويبقى باب التوبة مفتوحاً إلى وقت الوفاة وقبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها . قالﷺ « **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر** » أي مالم تصل الروح إلى الحنجرة وهو النـــزع والاحتضار قال تعالى { **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** } ويقول أيضاً { **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** }.ولذلك حين قال فرعون لَمَّا أدركه الغرق { **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**} (قال له مولانا) { **آلآن وقد**

---

[1] فإن كانت الحقوق عليه كثيرة ولا يقدر على أدائها فالمطلوب منه الإخلاص وكثرة التضرع إلى الله لعله يرضي خصماءه يوم القيامة .

عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين} .

وهذا الذي لم يتب مفوض أمره لمولانا لا نقطع له بالعفو ولا بالعقاب ، ولكن نقول إن مولانا يعذبه على كبيرته لكنه غير مخلَّد في النار لوجود ذرة الإيمان في قلبه . قال صاحب الجوهرة:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ
وَوَاجِبٌ تَعْذِيْبُ بَعْضٍ ارْتَكَبْ كبيرةً ثُمَّ الخُلُودُ مُجْتَنَبْ

وفي الحديث الشريف عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري عن النبي ﷺ :« **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان** » . قال أبو سعيد فمن شك فليقرأ { **إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة** } .

2 – الصغائر : وهي مقدمات للكبائر وهي كل ماخرج عن حد الكبيرة وضابطها ، كالنظر إلى النساء فهو بريد الزنى وكذلك المصافحة لغير المحارم. والصغائر إن أصر[1] عليها صاحبها تعطى حكم الكبيرة ، قال تعالى { **ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون**} وأما إن لم يصرَّ عليها فيكفِّرها الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة والحج إلى الحج كما ورد في الحديث الشريف تماماً. قال ﷺ : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما**

---

[1] الإصرار معاودة الذنب مع نية العود إليه عند الفعل ، فإن عاوده من غير نية لم يكن إصراراً على الراجح .

بينهن إذا اجتنبت الكبائر» . قال صاحب الجوهرة:

ثُـــمَّ الذنوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صغيـــــرةٌ كبيرةٌ فـــالـــثَّانـــي
مِنْهُ المتابُ واجبٌ في الحالِ ولا اْنتقَاضَ إنْ يَعُدْ للْحَـــــالِ
لكنْ يُجَدِّدْ تَوْبَـــةً لما اقْتَرَفْ وفي القَبُولِ رأيُهم قـــد اخْتـــَلَفْ
وباجْتَنَابٍ لِلْكَـــــبَائرْ تُغْفَرُ صغائرٌ وَجَا الوُضُـــو يُكَفِّـــــرُ

لكن يجتهد الإنسان أن يتبع السيئة الحسنة فإن مولانا ﷻ يضاعف الحسنات بعشر أمثالها إلى 700 ضعف ويجازي على السيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها قال ﷺ ينصح صحابياً « **وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا** » وقال تعالى { **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ** } وليس معنى الآية أن الحسنات ولو كانت قليلة تذهب السيئات ولو كثيرة وإنما المعنى والله أعلم أن كل حسنةٍ تمحو من السيئات بقدْرها ثم إن بقي شيء من السيئات بدون حسنات تمحوه جوزي به ، وتحديد القدر موكول لمولانا فربَّ حسنة نراها قليلة ولها من الثواب ما يغطي سيئات عدة ،وربَّ إثم نحسبه هيناً وهو عند الله عظيم، وهذا في غير توبة الكافر، وأما هي فمقبولة قطعاً اتفاقاً قال تعالى **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**} قال صاحب الجوهرة

فالســـــيئاتُ عِـــــنْدَهُ بالمِثْلِ والحَسَـــناتُ ضُوعِفَتْ بِالْفَضْلِ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحسن

أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى » (ق) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار ».

بعض المنكرات من المعاصي

تنقسم المنكرات إلى عدة أقسام : منها ما كان باللسان كالخوض في الباطل والخصومة والجدل [1] وبذاءة اللسان والغناء المحرّم والاستهزاء والكذب والغيبة [2] والنميمة [3] والحسد [4]، والعُجْب[5] .

---

[1] وهو مقابلة الحجة بالحجة ومحل حرمته إذا كان لافساد قول الغير بخلاف ما إذا كان لإحقاق حق أو إبطال باطل .

(2) وهي ذكرك أخاك بما يكره ولو بما فيه ولو بحضوره فإن لم يكن فيه فقد زاد إثم الكذب .

[3] وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم لافشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه وهي من الكبائر باتفاق

[4] تمني زوال النعمة عن الغير قال " ومن شر حاسد إذا حسد "

[5] وهو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه فهو حرام غير مفسد للطاعة ، ومثله الرياء غير مفسد .

ومنها ما يتعلق بالدنيا كالبخل والطمع والرياء والكبر [6].

فعلى العبد أن يمسك نفسه عن المعاصي ولا يتبعها هواها وإلا وقع في الإثم وعليه أن يجتنب الطرق المؤدية إليها،فيمنع نفسه مثلاً عن فضول الكلام لئلا يقع في الغيبة والنميمة فإن الصمت محمدة وكثرة الكلام مذَّمة قال ﷺ « **من خَزَن لسانه ستر الله عورته ، ومن كفَّ غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل عذره** » [7]

فالسلامة كل السلامة في ترك الخوض في الموبقات قال تعالى { **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** } وقال ﷺ لسيدنا معاذ «**وهل يَكُبُّ الناسَ على وجوهم إلا حصائدُ ألسنتهم** » [8] وقال أيضاً في ترك المراء والجدل : « **من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسَّن خلقه بني له في أعلاها** » [9] فرحم الله امرءاً كف لسانه وحفظ فرجه وبطنه عما لا يليق بالمؤمنين .

قال تعالى { **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنِّ إنَّ بعض الظنِّ إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبُّ**

---

[6] وهو بطر الحق وغمص الناس أي رده على قائله وعدم قبوله منه ، واحتقار الناس .

[7] الطبراني في الأوسط وأبو يعلى والبيهقي .

[8] أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

[9] أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي .

أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم . ياأيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير}

قال ﷺ « **لا يدخل الجنة نمام** » وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال « **إنهما يعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير على أنه كبير أمّا أحدهما فكان يمشي بالنّميمة وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله** » (ق) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « **كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذه الريح؟، هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين** » رواه أحمد وابن أبي الدنيا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم .قال : ذكرك أخاك بما يكره قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟! قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه » رواه مسلم وأبو داود والترمذي . (د ـــ ت) : عن عائشة قالت قلت للنبي حسبك من صفية كذا وكذا (تعني قصيرة) فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته " أي خالطته بحيث يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها .

وتجوز الغيبة في ستة مواطن ذكرها الشاعر فقال :

القَدْحُ ليسَ مُحَرَّماً فـــي سِتَةٍ متظلم [1]ومـــعرّفٍ [2] ومحذَّرِ [3]
ومجاهرٍ فسقاً [4] ومستفتٍ [5]ومَنْ طَلَب الإعانةَ [6] في إزالة منكرِ

و ــ الكليات الخمس : ثم شرع فيما يسمى بالكليات الخمس أو الست إن جُعل العِرْضُ غير مستقل عن النسب ، وسميت بالكليات لما يتفرع

- عليها من أحكام ولوجوبها في كل ملة فقال

وحِفْظُ دِيْنٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَالْ نَسَبْ ومثلُها عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبْ

ورأسها حفظ الدين وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام ويليه ما بعده وقدم النفس على العقل لأن الزنى أشد تحريماً من شرب الخمر ، ويكون حفظها بترك المحرمات وفعل الواجبات ولحفظها شُرعت الحدود السبعة وآكدها حفظ الدين ولأجله شُرع حد الردة ، ثم حفظ النفس وشُرع القصاص لحفظها ،ثم النسب ولحفظه شُرع حدُّ

---

[1] أي يقول للقاضي : ظلمني فلان

[2] يقول : فلان الأعمش والأعرج : معرفاً به

[3] ذكر عيوب شخص لمن يريد الاجتماع عليه إذا لم ينكفَّ بدون ذكرها .

[4] كالمجاهر بشرب الخمر وأخذ الضرائب .

[5] يقول للمفتي ظلمني فلان فهل له ذلك .

[6] كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا فأعني على منعه .

الزنا ، ثم العقل ولحفظه شرع حد شرب الخمر، والدية على من أذهبه بجناية ، والعرض في مرتبة المال ولحفظه شرع حدّ القذف للعفيف . وشرع لحفظ المال حد السرقة .

ز ــ أحكام الردة وهي ترك الإسلام بعد الدخول فيه .

ومن الأمور التي يكفر بها العبد ويخرج عن دين الإسلام أن ينكر ماكان معلوماً من الدِّين بالضرورة [1] كالصلوات الخمس أو سجدة منها وكالزكاة والحج والصيام والوضوء أو نفي لمجمع عليه إجماعاً قطعياً معلوماً من الدين بالضرورة . أو اعتقد إباحة محرّم مجمع على تحريمه معلومٍ من الدين بالضرورة كإباحته الزنى وشرب الخمر ، فهذا يقتل على أنه كافر لا على أن القتل كفارة لذنبه وهذا بشرط أن يكون عاقلاً مختاراً غير مكره بقــوله ذاك . قال تعــالى{ **إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**} فمن أتى مكفِّراً أو قامت القرائن على أنه غير معذور وأنه غير جاهل بأن هذا الشيء من المكِّفرات حَكَمْنَا عليه بالكفر ، وأجرينا عليه أحكام الكافرين الأصليين إن لم يَسْبِقْ له إعلانُ الإسلام فإن سبق وأعلن إسلامه أو كان من أسرة مسلمة أجرينا عليه أحكام المرتدين .

---

[1] أي يعرفه خواص المسلمين وعوامهم .

وكلا الصنفين غير معذورين بكفرهم وهم من أهل النار في الآخرة مُخَلَّدُون في العذاب ، قال صاحب الجوهرة:

وَمَـــنْ لَمعْلُومٍ ضَرُورةً جَحَدْ مـــنْ ديننا يُقْتَلُ كُفْرَاً لَيْسَ حَـــدْ

ومثلُ هذا مَـــنْ نَـــفَى لمجمَعِ أوِ اســـتباحَ كالـــزَّنى فَلْتسْمَعِ

فيجب على كل مسلم أن يحفظ دينه ويصونه عما يفسده أو يبطله أو يقطعه وهو الردة والعياذ بالله تعالى .

وكما كان للعبد اعتقاد وقول وفعل انقسمت الردة إلى هذه الأقسام الثلاثة :

الردة بالاعتقادات :

1) يشك في وجود الله ﷻ أو في مخالفته للحوادث .
2) يشك في سيدنا محمد ﷺ هل هو رسول الله أم لا .
3) يشك في القرآن هل هو من عند الله ﷻ أم من عند سيدنا رسول الله ﷺ ؟
4) اعتقد نقيض صفة من صفات الله تعالى الواجبة له إجماعاً كالعلم والحياة والقدرة..... أو نسب له صفة يجب تنزيهه عنها إجماعاً كالمجسِّمة الذين يقولون إن الله جسم كالأجسام، أما لو قالوا إن الله هو جسم لا كالأجسام فلا كفر ولكن خطأ .
5) حلل محرَّماً بإجماع الأئمة الأربعة معلوماً من الدين بالضرورة

[1] كالزنى والقتل والسرقة...

6) نفي مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس أو سجدة منها .

7) عزم على الكفر في المستقبل فيكفر حالاً .

8) أنكر رسالة واحد من الرسل المجمع على رسالتهم أو كذّبه أو حقّره أو جوّز ابتداء نبوة أحد بعد سيدنا محمد ﷺ[2]

9) أنكر صحبة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لثبوت صحبته في القرآن الكريم ، وعند المالكية والحنابلة يكفر من سبّه أو سبّ الفاروق لأنهما وزيرا سيدنا رسول الله ﷺ والنيل منهما نيل من سيدنا رسول الله ﷺ .

10) اعتقد قدم العالم .

الردة بالأفعال :

1) السجود لصنم أو شمس أو قمر أو مخلوق آخر إلا لضرورة كالذي أُكْره وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان ، فإن دلت قرينةٌ على عدم دِلالة الفعل كسجود أسيرٍ في دار الحرب بحضرة كافر خشيةً منه فلا كُفْرَ، وأما إن ركع بقصد تعظيم المخلوق كمثل تعظيم الله فلقد كفر، فإن لم يقصد كان حراماً، وأما ما جرت به العادةُ من

---

[1] أي يعلمه الكبير والصغير والعالم والجاهل .

[2] قلنا بعدم تجويز ابتداء نبوة أحد بعده ﷺ لئلا ننكر بقاء نبوة سيدنا عيسى عليه السلام .

خفض الرأس والانحناء إلى حدٍّ لا يصل إلى مستوى الركوع فلا كُفْرَ به ولا حرمةَ لكنه مكروه .

2) تمزيق المصحف مع قرينة الإهانة .

3) تعليق الصليب على الصدر مع قرينة التعظيم وكذلك كل ما هو من إشارات الكفر الخاصة ما لم يكن عن إكراه أو عن مصلحة سياسية لدولة مسلمة .

الردة بالأقوال :

1) سَخِر باسم من أسماء الله تعالى أو باسم نبي من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

2) سبَّ الله أو الدين أو النبي أو الملائكة .

3) قال لمسلم : ياكافر أو يا يهودي أو يا نصراني .

4) قال : لو شـــهد عندي الأنبياء والملائكة أو جميع المسلمين ما قبلته .

5) قال : لو كان فلان نبياً لما آمنت به .

6) تمنى أن يحل الله ما حرّم كالظلم والزنى والقتل وغير ذلك.

كل هذه الأقوال يرتد بها صاحبها والمدار على مافي الضمير إن كان مستهيناً أو مستخِّفاً بالله تعالى أو كتبه أو رسله أو ملائكته أو شعائر أو أحكام دينه يرتد بها صاحبها .

حكم الردة :

تقدم أن شرط صحة الردة : 1- الاختيار والطواعية . 2- العقل . 3- وزاد الشافعية والحنابلة صحة ردة السكران المتعدّي بِسُكْره .

فمن أتى مكفراً وقامت القرائن على أنه غير معذور وأنه غير جاهل بأن هذا الشيء من المكفرات حكمنا عليه بالكفر .

فإذا ارتد العبد والعياذ بالله تعالى :

1ــ بطلت صلاته 2ــ بطل صومه واعتكافه 3ــ انتقض وضوؤه عند المالكية وتيممه عند الشافعية 4ــ بطل نكاحه قبل الدخول وكذا بعده إن لم يعد إلى الإسلام في وقت العدة (عند الشافعية) وعند الحنفية تقع الفرقة بينه وبين زوجته فلا يردها إلا بعقد شرعي جديد فإذا أراد أن يتزوج فلا يتزوج من المسلمات 5ــ تبطل حجته بردته عند الحنفية والمالكية ويلزم إعادتها إن عاد إلى الإسلام ،وأما عند الشافعية فيبطل ثواب أعماله فقط 6ــ تحرم ذبيحتُه 7ــ لا يرث من مرتد ولا من مسلم ولا من كافر أصلي ولا يوِّرث أحداً ،لقول صاحب الرحبية:

ويمنع الشخص مــن الميراث واحــدة مــن عــلــل ثلاث
رق وقتل واخــتلاف ديــن فافهــم فليس الشــك كاليقين

8 ــ سقط ثواب جميع أعماله الصالحة التي عملها قبل ردته ، وذهبت جميع حسناته هباءً منثوراً .

9ــ فإن مات بعد الردة مباشرة أجرينا عليه أحكام الكافرين

وكان مخلداً في العذاب يوم القيامة ،قال تعالى { **إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**}

فإذا مات لا يصلى عليه ولا يغسل (أي لا يجب غسله لكن يجوز) ولا يجب تكفينه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

والردة : هي ترك الإسلام بعد الدخول فيه وهي محبطة للعمل الصالح الذي سبقها ، وإن اتصلت بالموت كان صاحبها من أهل النار قال تعالى { **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** }.

عودته إلى الإسلام: كل من وقعت منه الردة وجب عليه مباشرة:

1) العود فوراً إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين ، ولا يكفي أن يصلي وينطق في الصلاة بالشهادتين .
2) الإقلاع عما وقعت به الردة في الحال .
3) الندم والحزن على ما صدر منه فيما مضى .
4) العزم على أن لا يعود لمثله .
5) قضاء ما فاته من واجب شرعي كالصلاة والزكاة والصوم في مدة الردة عند الشافعية .

6) العقد من جديد على زوجته عند الحنفية وكذا عند الشافعية إن مضى وقت العدة (ثلاث حيضات) .

أما عند السادة المالكية والحنابلة فلا تقبل في الدنيا توبةُ من سبّ الله تعالى أو سب رسوله سباً صريحاً أو تنقّصه ، ولا توبة على الزنديق (المنافق) ، ولا توبة على من تكررت ردته [1] ، بل يقتل بكل حال لأن هذه الأشياء تدل على فساد عقيدته وقلة مبالاته بالإسلام ، والذي يقيم عليه الحدَّ هو الإمام أو الحاكم أو نائبه ، ولا تقتل المرأة المرتدة عند الحنفية فقط خلافاً للثلاثة ، وإذا تكررت الردة من عبد ضربه الإمام عند الحنفية وحبسه حتى تظهر توبتُه ثم يخلي سبيله .

ح ــ أحكام الإمامة والخلافة :

لابد للأمة من إمام ظاهرٍ غير مختفٍ ولا منتظر ،والخلافة بعد سيدنا محمد ﷺ 30سنة ثم أصبحت ملكاً عضوضاً وإمارة إلا من كان كالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كسيدنا عبد الله بن الزبير (الخليفة السادس) وسيدنا عمر بن عبد العزيز (الخليفة السابع) والمتوكل ونور الدين الشهيد رضي الله عنهم أجمعين .

فيجب شرعاً على الأمة وجوباً كفائياً (فرض كفاية) إقـــامـــة

[1] انظر الروض المربع ص 519 وحاشية الصاوي على الدردير ص387.

خليفة عدلٍ والمراد بالعدالة عدل الشهادة وهو من استكمل شروطاً ستة :

/1/ **الإسلام**: فلا يجوز تنصيب حاكم كافر أو يهودي أو نصراني أو من ملة غير ملة الإسلام .

/2/ **البلوغ** : فيجب أن يكون بالغاً، ولنا أسوة في تنصيب سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقد كانوا من أهل الأسنان (كبار في السن) .

/3/ **العقل** : فلا ينصَّب مجنون أو به خلل في عقله فيجب أن يكون مكتمل الأهلية العقلية .

/4/ **الحرية** :فلا ينصَّب العبد أو المبعَّض (نصف حـــر ونصف عبد) .

/5/ **الذكورة** : فلا ينصَّب النساء لأن أمر الإمامة أمر عظيم لا يناسب أن يكون لامرأة وقد قال ﷺ عندما جلست على عرش فارس امرأة قال : « **لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة** » ولأن الخليفة نائب عن الرسل فكما أن الرسل لا يكونون إلا ذكوراً فكذلك الخلفاء .

/6/ **العدالة** : أي عدم الفسق بفعل منهي عنه أو اعتقاد فاسد والعدل هو الذي لا يرتكب كبيرة ولا يصرُّ على صغيرة ويحافظ على مروءة أمثاله (فلا يحلق لحية ولا يسير حاسر الرأس ولا يأكل في أسواق مدينته ولا يبول في الطرقات وغير ذلك من

المروءات) وتغلب حسناته سيئاته .

وليس كل من يصلح للإمامة يصير إماماً ، بل لابد من النص على إمامته إما من الله تعالى أو رسوله الكريم أو من الإمام السابق أو من إجماع الأمة ، فهذه طرقٌ ثلاثٌ في اختيار الخليفة أو الحاكم وهذا معنى قول صاحب الجوهرة :

وواجبٌ نَصْبُ إمامٍ عَدْلِ بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لا بِحُكْمِ العَقْلِ

فليسَ ركناً يُعْتَقَدْ في الدِّينِ فَلا تَزِغْ عَنْ أَمْرِهِ المُبِيْنِ

أي أنَّ طريقة اختيار الحاكم ليست ركناً من أركان الدين بل نحن مخيرون بين الطرق التالية :

أولاً : تعيينُ الخليفة من قبل الرُّسل كما جرى في تنصيب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فقد عيَّنه النبي الكريم ﷺ خليفة له في الصلاة واقتدى به في الجماعة ، وفي مرض الوفاة صلَّى سيدنا عمر رضي الله عنه وكان جهوري الصوت فسمعه النبي الكريم فَصَحَا من مرضه وسأل: أين أبو بكر؟ وكان الذي يصلي بالمسلمين الصِّدِّيق ، وحين انتقل إلى جوار ربه عز وجل قال المسلمون من الصحب الكرام : لقد رضيه لنا في ديننا (أي الصلاة) أفلا نرضاه إماماً لنا في دنيانا . فبُويع على الخلافة .

ثانياً : خلافة العهد : أي أنْ يعهدَ الخليفة الحالي لواحد بعده كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حينما عهد إلى سيدنا عمر رضي الله عنه بالخلافة، أو يعهد لمجموعة من الرجال لتنتقي منهم الأمة حاكماً كما فعل سيدنا

عمر ﷺ حينما عهد إلى بقية العشرة المبشرين بالجنة : سيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا طلحة بن عبيد الله وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا سعد بن أبي وقاص وجُعل بينهم سيدنا عبد الله بن عمر مرجِّحاً .

ثالثاً : أن يختار المسلمون حاكماً فيبايعوه بيعة عامة .

وهذه شروط في حالة الابتداء والاختيار ، وهذا من أهم الواجبات الشرعية لا العقلية ،ولهذا اشتغل الصحابة به عن دفن سيدنا رسول ﷺ فتأخر دفنه يومين ، لأنه ورد أنه توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الاربعاء.

ولا يجوز تعدد الخليفة ، فمن خرج عن الجماعة يريد أن يشق عصا الطاعة ليكون خليفةً وجب قتله.

ولا يخرج عن أمر الإمام ونهيه لوجوب طاعته لقوله تعالى **{وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم }** هم العلماء والأمراء ، ولقوله ﷺ "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني" ، لكن لا يطاع في الحرام والمكروه .

فإذا تبين بعد ذلك أن الحاكم فاسقٌ أو تغلَّب علينا في الحصول على الخلافة وهو معدوم الأوصاف فلا يعزل ، بل على الرعية الصبر تحت لواء السلطان الجائر ، ولا يُخرج عليه بالسيف إلا إذا وقع منه الكفر وأمر به فلا تجوز طاعته والله يكفينا أذاه وحده إذ هو الذي ناصيته بقدرته تعالى . قال صاحب الجوهرة:

إلاّ بِكُفْرٍ فانْبِذَنَّ عَهْـــدَهُ فاللهُ يكفينـــا أَذَاهُ وَحْـــــدَهُ

بغيرِ هذا لا يُبَاحُ صَرْفُهُ وليس يعـــزل إن أزيل وصفـــه

ط ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

العرف أو المعروف المراد به الواجب والمندوب ،والمنكر المراد به الحرام والمكروه .

فرض كفاية دل عليه قوله تعالى { **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** } وقوله {**ولتكن** } أمر، وظاهر الأمر الوجوب ، وقوله {**وأولئك هم المفلحون**} دل على أنه فرض كفاية لا فرض عين ، وإليه الإشارة في قوله تعالى **{لتكن منكم أمة}** فإذا قام بـــه واحد أو جماعة سقط الفرض عن الآخرين وهو مـــن صفـــات المؤمنين {**ويأمرون بالمعروف**} بل إنَّ مولانا لعـــن الذين كفروا من بني إسرائيل لأنهم**} كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه {**، وهذا غاية في التشديد عليه،وفي صحيح مسلم عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمَّهم الله بعذاب من عنده**» .

وعن أبي داود والترمذي وحسّنه وابنِ ماجةَ عن أبي ثعلبة الخُشَني

أنه سأل سيدنا رسولَ الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى:

{ **لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم** } فقال : « **يأبا ثعلبة مر بالمعروف وانهَ عن المنكر ، فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، إنّ مِنْ ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم ، المتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه له أجر خمسين منكم. قيل : بل منهم يارسول الله ؟ قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً** » فيكون معنى الآية إذا فعلتم ماكلفتم به ـــ ومنه الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكر لا يضرّكم فعل غيركم المعصية .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسّنه وابن ماجة مـــن حديث أبي سعيد قال رسول الله ﷺ : **لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول الحقُّ إذا علمه** » فإن قيل : فما معنى قولِهِ تعالى { **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** } قلنا : لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه سيقتل ، وهذا ليس مخالفاً لموجب الآية فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما « **ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله هو المهلك**» أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه فإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يُقتل جاز أيضاً أن يفعل ذلك في الأمر بالمعروف ، ولهذا شُرع في الإسلام وظيفة

المحتسب الذي يقوم على إزالة المنكر في الأسواق وفي المساجد وفي الشوارع وفي الحمَّامات وغيرها . وعلى الوالدين أن يأمرا بالمعروف وينهيا عن المنكر بالوعظ والنصح والضرب بعد العاشـــرة إلى سن البلوغ ، فإذا بلغ الولد فلا ضرب حينئذ ، وعلى الولد أن يأمر والده بالمعروف ما لم يغضب ، وقد سئل الحسن البصري عن الولد كيف يفعل ذلك فقال: « يعظ والده ما لم يغضب فإذا غضب سكت عنه » ومعنى الوعظ النصح والتخويف بالله تعالى والترغيب بفضله وكرمه ، وليس معناه رفع الصوت والقول الغليظ الخشن مع والده قال تعالى {**وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علمٌ فلا تطعْهما وصاحبْهما في الدنيا معروفا** }. قال صـــاحب الجوهرة :

وَأْمُرْ بـــعُـــرْفٍ واجتنبْ نَمِيمةْ وغِيْبـــَـــةً وخَصْلَـــةً ذَمِيْمَـــةْ
كالعُجْبِ والكِبْـــر وَدَاءِ الحَسَدِ وكالمـــراءِ والجَـــدَلْ فَاعْتَمِدِ
وكُنْ كَمَا كَانَ خَيارُ الخـــَلْـــقِ حَلِيْفَ حِلْـــمٍ تابعاً لِلْحَـــقِ

وقد مر تفصيل ذلك .

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المسلم المكلَّف القادر فيدخل في هذا التعريف : الحاكم ونائبه والمحتسب والقاضي والزوج والزوجة مع أولادهما والعلماء على المنابر وفي المساجد وفي الطرقات

ويشترط فيهم جميعاً

1 ــ أن يكونوا عدولاً غير فُسَّاق كي لا يقعوا في قوله تعالى { **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** } وقوله { **أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب** }

2 ــ ويشترط فيهم أن يكونوا عالمين بما يأمرون به وينهون عنه ،

3 ــ وأن يأمنوا أن يؤدي إنكارهم إلى منكر أكبر

4 ــ وأن يغلب على ظنهم أن أمرهم بالمعروف مؤثر في تحصيله وأن نهيهم عن المنكر مزيل له ، وقال الشافعية : لا يشترط هذا الأخير لأن الواجب على العبد الأمر والنهي لا القبول قال تعالى { **ماعلى الرسول إلا البلاغ**{ وقال : **}وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**{.

ويمكن إجمال ذلك في الحديث النبوي الشريف « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده** ــ وهذه وظيفة الحاكم ومن أذن له ، بل هي وظيفة الوالد على أولاده وزوجه ــ ثم قال ﷺ **فإن لم يستطع فبلســـانه** ــ وهذه وظيفة العلماء والوُعَّاظ والوالدين إذا كبر أولادهما وبلغوا سن الرُّشد ــ ثم قال ﷺ **فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** وهذه لعامة الناس الذين لا يستطيعون إزالة المنكر فيقول العبد إذا رأى منكراً : اللهم هذا منكر لا أرضى به ولا أقدر على إزالته .

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

1ــ التعريف : أن يعرِّف مرتكب المنكر أن ما ارتكبه حرام أو مــكروه فيجب تعريفه باللطف من غير عنف .

2ــ النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى دون أن يبغي بذلك إذلال مرتكب المنكر ، وإنما عليه أن يعلم أن هذا مرض وقــع فيه .

3ــ السبُّ والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، فقد ورد في كتابه تعالى قول سيدنا إبراهيم لقومه { **أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** } ولسنا نعني بالسبِّ الفحشَ أو الكذب بل يخاطبه بما هو فيه كقوله :يا فاسق ، يا أحمق ، يا جاهل ألا تخاف الله .

4ــ التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه أو عن بدنه.

5ــ التهديد والتخويف فإن كان والداً يستخدم الضرب في تخويفه كأن يقول : لأضربَّنك إن لم ترجع عن المنكر . ولا يهدِّده بوعيد لا يجوز له تحقيقه : لأضربن رقبتك .

6ــ مباشرة الضرب باليد أو الرِّجل مما ليس فيه شهر سلاح ، وهذا فعل القاضي وله أن يحبسه ، فكل ذلك رفع للمنكر .

7ــ أن يستعين بالأعوان على إقامة شرع الله ، وهذا يحتاج إلى إذن الإمام ، ولا يفعله العبد بدون إذن لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن .

وهذه المراتب لا ينتقل العبد من واحدة إلى واحدة حتى يستوفي التي قبلها .

ي ــ اتّباع السلف الصالح والقدوة الحسنة ﷺ :

والواجب على المسلم التحلّي بالفضائل بعد التخلّي من الرذائل التي ذكرها الناظم ،وهذا معروف بالتصوف ،**وهو علم بأصول يعرف بها إصلاح القلب وسائر الحواس** ، وفائدته صلاح أحوال الإنسان لما فيه من الحث على تصفية الاعتقاد وكمال الأعمال بالسداد ، والتصوف هو الأخلاق الحميدة التي كان عليها خيار الخلق ، فعلى المسلم أن يلزم أحداً منهم أو شيخاً عارفاً بالكتاب والســـنة فيلزمه فلعله يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه ،ولا يخفى على العبد أنه لا يكون موفقاً إلا إذا كان تابعاً للحق متمسكاً به مخالفاً للحكم بحيث لا يستفزه الشيطان ولا يحركه الغضب .

وبالخلاصة على العبد أن يزيّن جميع أقواله وأفعاله واعتقاداته بميزان الشريعة وعليه بحفظ الحواس وضبط الأنفاس ، وما توفيقي إلا بالله .

وهم الذين شَهِدَ لهم النبي الكريم ﷺ بالخيرية أي أصحاب القرون الثلاثة الأولى: الصحابة والتابعون وتابعو التابعين لغاية القرن الثالث الهجري وبداية الرابع قال ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وهؤلاء هم سلفنا الصالح فالصحابة الكرام نزل في عصرهم القرآن وعلى أيديهم انتشر التشريع ، وانتقل عنهم إلى التابعين الكرام حتى وصل إلى الأئمة الأربعة ، وقد تقدم وجوب تقليد

واحد منهم مـــن يمتنع الخروج عـــن مذاهبهم في الاقتناء والحكم .

قال صاحب الجوهرة:

فكلُّ خيرٍ في اتّباعِ مَنْ سَلَفْ وكلُّ شَـــرٍّ في ابتداعِ مَـــنْ خَـــلَفْ

وكلُّ هدي للنبيِّ قَـــدْ رَجَحْ فَمَا أُبيحَ افْعَلْ ودَعْ مالَمْ يـــُبَـــــحْ

فَتَابـــعِ الصَّالحَ مِـــمَّنْ سَلَفَا وجـــانبِ البِدْعَـــةَ ممـــنْ خَلَفَـــا

ك ــ البدعة :

عرفها العلماء فقالوا هي كلُّ أمر ليس له أصل في الكتاب ولا في السنّة ، وتقسم إلى قسمين : بدعة ممدوحة وبدعة مذمومة .

1ــ البدعة الممدوحة : وهي التي سمَّاها سيدنا رسول الله ﷺ سُنَّةً حسنـــة فـــقـــال **من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**» وقد تكون البدعة واجبةً نحو كتابة القرآن الكريم ضمن مصحف واحد ، كما فعله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فإن القرآن كاد يفقد بعد الغزوات التي غزاها المســـلمون ، فقدم الفاروق فما زال يُقنع الخليفةَ الصِّدِّيق حتى شرح الله صـــدره لذلك ، وعليه يمكن تقسيم البدعة الممدوحة إلى ثلاثة أقسام :

1 ــ واجبة : وهي ما تناولتها قواعد الوجوب وأدلته من الشريعة وتشمل كلَّ ما يرجع لحفظ الدين أو بيان أحكامه فإن الصّدّيق بجمعه للمصحف واجه كلَّ محاولات أعداء الدِّين لتحريف القرآن والقضاء عليه أولاً بأول .

ومن البدعة الواجبة أيضاً تنقيةُ السنة من الدَّخيل ، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر في مواجهة المحدثات الباطلة . ونشرُ العلوم المساعدة على فهم القرآن كعلوم اللغة والفقه .

2 ــ مندوبة : ومنها تحسينات الطرق والمباني ومدّها بالمياه والكهرباء ، ومنها تنظيم أمور التعليم .

ومن البدع الممدوحة ما فعله سيدنا عمر حين جمع الناس على صلاة التراويح 20 ركعة على قارئ واحد وهو سيدنا أُبي بن كعب حيث كان الصحب الكرام منهم من يصلي فرادى ومنهم من يصلي خلف إمام ضمن مجموعات متفرقة ، فرأى الفاروق ــ الذي قال عنه سيدنا النبي ﷺ بأنه مُحدَّثٌ مُلْهَم (أي يلهمه الله تعالى الصواب) ــ رأى أنْ يجمع الناس جميعاً فيصلوا 20 ركعة خلف إمام واحد ، فلما نظر الفاروق إليهم قال : «نعمت البدعة هذه» .

وقد وافقه جميع الصحابة الكرام وأثنوا على فعله ، فتم بذلك الإجماع على ذلك ، ولا يخفى على أحد حكم من يخالف إجماع المسلمين.

ومن البدع الممدوحة **المولد النبوي الشريف** ، أخذاً من الإشارة في صحيح الإمام مسلم حيث سئل النبي الكريم عن سبب صومه ليوم الاثنين فقال « **وذلك يوم ولدت فيه** » كما أمر النبي ﷺ بصيام عاشوراء حين قدم المدينة فوجدهم يحتفلون به ، فسألهم ؟ فقالوا : هذا

يوم نجى الله فيه موسى ، فصامه وأمر بصيامه . فدل هذا الحديث على إنشاء عبادة وهي الصوم بسبب الولادة ، ولذلك يحتفل المسلمون في كل مكان بهذا اليوم الذي سطعت فيه شمس النبوة .

وقد كان ﷺ يحب أن يخص الأيام الفاضلة بمزيد العناية ، فكان أكثر ما يكون جوداً في رمضان ، وكان يجتهد في العبادة في العشر الأواخر منه ، ومن الأيام الفاضلة يوم مولده ، ويكون الاحتفال به بشرط عدم وجود محرمات كآلات موسيقية أو اختلاط أو كشف عورات أو صالات تدار فيها أو بجوارها الخمور أو تهتك فيها الأعراض كما هو الحال ببعض الفنادق ، نسأل الله حسن الطاعة.

ومنها التبرك بآثار الصالحين ، قياساً على التبرك بآثار النبوة ، فقد كان أصحاب النبي ﷺ يتبركون بآثاره ﷺ كما هو في البخاري ومسلم وغيره ، وقد كان الصحابة يتسابقون على فضل وضوئه ﷺ وكانت أم سليم تضع عرقه ﷺ في قارورة ، فلما سألها النبي الكريم عنه قالت : نرجو بركته لصبياننا . فقال لها : أصبت .

كما كان سيدنا عمر يتوسل إلى الله تعالى بسيدنا العباس رضي الله عنهما .

3 ــ البدع المباحة : كالتوسع في الطيبات وترويح النفس بالأسفار ، والكلام في المحافل بما يرضي الله تعالى ، والحرص على تولي المناصب الدينية والدنيوية للقيام بما يجب من حقوق الله وحقوق العباد

2ــ البدع المذمومة :وهي المحرمة والمكروهة .

آ ــ المحرمة : وهي كل أمر مخالف لصريح القرآن والسنة

كالاختلاط ونزع الحجاب ولبس الثياب غير المحتشمة وحلق اللحى من الرجال فهذه من البدع المذمومة .

ومنها تحريم الحلال أو تحليل الحرام بدون عذر شرعي أو قصد صحيح ، ففي الترمذي أنَّ رجلاً أتى النبي الكريم فقال : يارسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرّمت على نفسي اللحم ، فنزل قوله تعالى : { **ياأيها الذين آمنوا لاتحرِّموا طيباتِ ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيباً** } .

ومنها عبادةٌ ما أنزل الله بها من سلطان كأن يصلي العبد أربع ركعات جميع الأوقات فقد كان أحدهم يفعلها في مسجدنا حتى اتهمه الناس بالجنون وأقاموا عليه النكير وربما تركها .

ومنها إنكار الاحتجاج بالسنة أو تقديم العقل على النقل وجعله أصلاً والشرع تابعاً له .

ومنها بدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس .

ومنها القول بارتفاع التكاليف الشرعية عند الوصول إلى مرحلة معينة من التجُّرد (مـــع بقاء العقل وشـــروط التكليف) فيقول لك لا تجب عليّ طاعة ولا يَحْرُم عليّ محرَّم كما يدعيه بعض المجانين .

ومنها صلاة الرغائب في أول خميس من رجب بين المغرب والعشاء بعد صوم يوم الخميس فقد قال الحافظ العراقي بأنَّ خبرها

موضوع ، وفي العمل بها تشجيع على وضع الحديث [1] ويشجع على الابتداع في الدين ، ثم إنها مخالفة للصلاة المشروعة المعهودة المنقولة عنه ﷺ وتدعو إلى الإقبال على الذنوب وترك أداء الفرائض ، مادام مولانا يغفر الذنوب بهذه الصلاة .

ومن البدع المحرَّمة المذاهبً المخالفة للقرآن والسنة ، والقول بالتجسيم والتشبيه ، والتشريع بما يخالف الكتاب والسنة ، والاجتماعُ على ما يخالف الدين ، والعلاقات المنافية لآداب الشرع ، وبكل ما يَضُرُّ الدين أو يهدم أصلاً من أصوله أو يميت سنة أو يحيي بدعة .

ب- ومن البدع المكروهة : الزيادة في المندوبات المحددة شرعاً كزيادة التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلوات بقصد الرغبة عن السنة ، لأن فيه خروجاً عما حدَّده رسول الله ولو بقصدٍ حسن ، ولأنّ شأن العظماء إذا حدَّدوا شيئاً أن يُتوقف عنده . وتعظيم السلاطين في خطبة الجمعة لا لمجرد الدعاء ، وكزخرفة المساجد،وقد تحرم إن كانت من مالٍ موقوفٍ لبناء المساجد . وغيرها مما هو مبسوط في المطولات وشروح الحديث النبوي عند قوله ﷺ .

وقد يتدرج الأمر إلى أن تصل البدعة بصاحبها إلى الكفر فيما لو خالف ما يُعلم من الدين بالضرورة وهو الذي عرفه الخاص والعام كإنكار البعث والجزاء ووجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنى وشرب

---

[1] ابتدعها رجل كان حسن التلاوة وأُحدثت هذه الصلاة سنة 448 في بيت المقدس.

الخمر ، وقد مرَّ الحديث عنها .

قال النبي الكريم «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** (مردود عليه) » وفي رواية لمسلم «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ** » وقال أيضاً «**من سنَّ في الإسلام سنّةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» وهذا ما دعا صاحب الجوهرة أن يقول :

وكـــــلُّ هـــدي للنبيِّ قَدْ رَجَحْ فما أُبِيْحَ افْعَلْ وَدَعْ مَالَمْ يُبَحْ
فَتَـــابِـــعِ الصَّالحَ ممـــــنْ ســـلَفَا وَجَانِبِ البِدْعَةَ ممْنْ خَلَـــفَـــا

فعلى العبد أن يتبع في عقائده وأقواله وأفعاله وأحواله الفريق الصالح من السلف الأكرمين الذين قاموا بحقوق الله تعالى وحقوق العباد .

ولذلك ما ينقل عن بعض المسلمين ـــ يفسرون حديث رسول الله ﷺ ـــ أن **كل بدعة ضلالة**فليس على ظاهره بل المراد منه ما أُحدث ولا دليل له من الشرع قال مولانا الشافعي رضي الله عنه : المحدثات ضربان :

1- ما أُحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلالة .

2- وما أُحدث من الخير لا يخالف شـــيئاً من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة .

فعلى المسلمين اليوم العودة إلى تلك الطبقة التي مات سيدنا رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم وأن يخلصوا العمل لله تعالى ويبعدوا عن الرياء في الأعمال والأقوال ، وقد توعد الله تعالى المرائين بالعذاب

الأليم فقال تعالى **}فويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون {** .

.

فعلينا أن نطهِّر نفوسَنا ولا نجعل للشيطان علينا سبيلا بالتمسك بالذكر والعبادة ونجاهد في أن ننقلها من الأمّارة بالسوء إلى اللوَّامة ومن اللوامة إلى الملهمة ، ومن الملهمة إلى المطمئنة بالله ، ومنها إلى الراضية فإلى المرضية عسى الله أن يكرمنا فتصبح كاملة ولهذا قال الناظم :

إن النفوس سبعة منظمةْ أمّارةٌ لوّامةٌ وُملْهمهْ
وذاتُ الاطمئنان بالله وَلَهْ راضيةٌ مرضيةٌ وكامله

1- فالأمّارة بالسوء : تأمر صاحبها بارتكاب الحرام والمكروه قال تعالى {**إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي{ .**

2- والنفس اللوّامة : تلوم صاحبها ارتكب خيراً أو شراً .

3- والنفس الملهمة تلهم صاحبها الخير أو الفجور قال تعالى**}فألهمها فجورها وتقواها{ .**

4- النفس المطمئنة : تطمئن إلى فعل الله وتصرفه فيها قال تعالى **}يا أيتها النفس المطمئنة{ .**

5- النفس الراضية ترضى عن الله تعالى في كل ماأقامها به من غير تبرّم أو اعتراض .

6- النفس المرضية التي رضي الله عنها كما قال تعالى " **رضي الله**

عنهم ورضوا عنه ".

7- النفس الكاملة وهي ذات الأنبياء (وتسمى بالعصمة) ومن على قدمهم (وتسمى بالحفظ) .

لأن مَن مال إلى نفسه الأمّارة بالسوء وإلى شيطان هواه تاه في أودية الضلال والفساد لأن منشأ كل فتنة ثلاثة : الشيطان والنفس والهوى ولذلك يقول صاحب الجوهرة :

هذا وأرجو اللهَ في الإخلاصِ مِنَ الرِّيـــــاءِ ثُمّ فـــي الخلاصِ

مِنَ الرجيمِ ثم نفسيْ والهَوَى ومَنْ يَمِلْ لهؤلاءِ قَـــــدْ غَـــوَى

وهذا لا يكون إلا بمجالسة الصالحين ومذاكرة العلماء العاملين فالمحروم من حُرم بركة أهل زمانه ، والحكمة ضالَّة المؤمن أينما وجـــدها فهو أحق بها ، ومهما شاهدنا من نقص في بعض طلاب العلم فيجب علينا أن نجالسهم وننهض بهممهم وننهض معهم ، فرحم الله امرءاً عـــاين زللاً فسمح ، وشاهد خطأً فأصلح ، والكمال لسيدنا رسول الله ﷺ سيد المخلوقات .

الخـــاتمـة

أسأله تعالى أن يجعل أعمالنا حجة لنا ولا يجعلها حجة علينا ، اللهم أكرمنا بمغفرتك وامنحنا سرادقات عطفك بجاه حبيبك المصطفى ﷺ ورقِّنا بمعراج محبته وأكرمنا بشفاعته يا أرحم الراحمين

هذا وأرجـــو اللهَ أنْ يمنحنا عِـــنْدَ الســـؤالِ مطلقـــاً حجَّتَنَـــا
ثم الصلاةُ والسلامُ الدائمُ علـــــى نبيٍ دأبُـــهُ المَـــراحِـــــمُ
مُحَمّدٍ وآلِهِ وعِـــتْرَتِـــــهْ وتابـــعٍ لنهجـــهِ مـــــنْ أمتـــــهْ

كان الانتهاء من إملاء هذه السطور في نهاية العام الدراسي الأول لمعهد التهذيب والتعليم على طلاب الصف الأول الإعدادي بعد أن حفظوا منظومة الشرنوبية ثم الجوهرة عام 1416 هـ بعد أن تحولت المدرسة من حلقات علمية إلى مدرسة رسمية على مقاعد دراسية .

فاللهم انفع بها خلقك أجمعين من العلماء والمتعلمين ، واغفر لكاتبها وقارئها وطابعها وناشرها ولكل من نظر فيها بعين الرضا بجاه حبيبك المصطفى.

وصلى الله على سيدنا ومولانا وقرة أعيننا وجدنا سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وعترته وأصحابه وتابعيه وإمامي علم التوحيد الأشعري والماتريدي وجميع أشياخنا الكرام والحمد لله رب العالمين.

خويدم العلم الشريف
عبد العزيز بن الشيخ محمد سهيل
الخطيب الحسني الشافعي
غفر الله له ولوالديه

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشيخ أديب الكلاس	
مقدمة الشيخ أحمد نصيب المحاميد.....	
مقدمة المؤلف	
الباب الأول	
ترجمة الإمام أبو الحسن الأشعري	
ترجمة الإمام أبو منصور الماتريدي	
مقدمات في العقيدة	
شروح الجوهرة	
أقسام الحكم العقلي	
المكلف شرعاً	
حكم التقليد في التوحيد.....	
وجوب المعرفة.....	
أوصاف الإيمان الثلاثة	
الإيمان يزيد وينقص.....	
أسماء علم التوحيد.....	

الموضوع	الصفحة

بعض الفرق الضالة .....

الباب الثاني

الإلهيات .....

الواجبات .....

صفة الوجود : الصفة النفسية .....

1 ــ القدم .....

2 ــ البقاء .....

3 ــ المخالفة للحوادث.....

4 ــ قيامه بنفسه (الغنى) .....

5 ــ الوحدانية .....

الصفات المعاني .....

القدرة .....

الإرادة أوالمشيئة .....

العلم .....

الحياة .....

السمع والبصر .....

الكلام.....

الصفات المعنوية.....

الأسماء والصفات

الموضوع	الصفحة

المحال في حقه تعالى.....

الجائز في حقه تعالى .....

الباب الثالث

التفويض أم التأويل .....

بعض الألفاظ المؤولة .....

جواز التاويل في آيات الصفات .....

الباب الرابع

النبوات .....

الإيمان بالأنبياء والرسل .....

أ ــ الواجبات في حق الرسل .....

1 ــ الصدق .....

2 ــ الأمانة .....

3 ــ الفطانة .....

4 ــ التبليغ .....

المستحيلات في حق الرسل عليهم الصلاةوالسلام

الكذب .....

الخيانة .....

البلادة.....

الكتمان .....

الموضوع	الصفحة

الجائزات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

أسماء الرسل المذكورين في القرآن الكريم .....

أفضل الخلق سيدنا محمد ﷺ .....

نسبه من جهة أبيه ومن جهة أمه .....

آباؤه ناجون يوم القيامة .....

زوجاته .....

أولاده.....

عموم بعثته ﷺ .....

النسخ صوره.. .....

جمع باب النبوات لشهادة :

«أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »

فضائل الصحابة .....

النبوة اصطفاء وليست اكتساب .....

الكرامة للأولياء.....

حكم تقليد المذاهب الأربعة .....

تعريف بأئمة المذاهب الأربعة بالإضافة للإمام الجنيد رضي الله عنه

من هو المجتهد (أهلية الاجتهاد) .....

المعجزة والكرامة .....

الموضوع	الصفحة

خوارق العادات السبع .....

المعجزة.....

الإرهاص.....

الكرامة .....

المعونة .....

الاستدراج.....

الإهانة .....

السحر .....

من معجزاته ﷺ .....

القرآن الكريم وإعجازه .....

انشقاق القمر .....

رد الشمس .....

رمي الشياطين .....

وجوب اعتقاد براءة السيدة عائشة.....

الدعاء مخ العبادة .....

الباب الخامس

الإيمان بالملائكة .....

من هم الملائكة ؟.....

بعض أعمال الملائكة .....

الموضوع	الصفحة

الباب السادس

الإيمان باليوم الآخر .....

القيامة قيامتان .....

عذاب القبر ونعيمه .....

الروح.....

البعث والحساب .....

بعض السمعيات التي يجب الإيمان بها .....

حوض النبي ﷺ .....

شفاعة النبي ﷺ والصالحين رضي الله عنهم .....

الباب السابع

أحكام متفرقة .....

الرزق .....

الاكتساب والتوكل .....

الرد على السوفسطائية .....

حكم المعاصي .....

الكبائر .....

حقيقة التوبة .....

الصغائر .....

بعض المنكرات من المعاصي .....

الموضوع	الصفحة

ترك الخوض في الموبقات .....

الغيبة والنميمة .....

متى تجوز الغيبة .....

أحكام الردة .....

الردة بالاعتقادات .....

الردة بالأفعال .....

الردة بالأقوال .....

حكم الردة .....

العودة إلى الإسلام .....

أحكام الإمامة والخلافة .....

من هو العَدْل (شروط العدالة) .....

طريقة اختيار الحاكم .....

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....

اتباع السلف الصالح والقدوة الحسنة .....

البدعة .....

أقسام البدعة .....

البدعة الممدوحة .....

البدعة الواجبة .....

الموضوع الصفحة
البدعة المندوبة .....
البدع المباحة .....
البدع المذمومة .....
الخاتمة